

الحرب الحبشية السودانية

١٨٨٥ - ١٨٨٨

(الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش)

تأليف

اسماعيل عبد القادر الكردفاني

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم

والدكتور محمد سعيد القدال

دار الجيل

بيروت

درس الحرب وعبرتها

لقد كانت حرب القلابات في جوهرها حربا محلية ولكن آثارها كانت وخيمة على الدولتين، وذلك لأن جهدا كبيرا قد بذل من الطرفين من اجلها، وقد عاق ذلك الجهد المبذول من قبل الحبشة لصد الغزو الايطالي فتقدم الايطاليون مستغلين انشغال الحبشة بالصراع الداخلي وكسبت المهدية عدوا جديدا يواجهها مواجهة مباشرة وبدرجة اكثر خطورة من الحبشة. لقد هزم الايطاليون جيوش الخليفة في واقعة اقوردات ثم احتلوا كسلا.

ولكن الدولتين قد وعتا الدرس بعد محصول القلابات ومن ثم كان انكماش النشاط العسكري وبذل الجهد المتواصل لتعميق الصداقة الازلية بين البلدين.

من المقدمة بتصرف



الحرب الحبشية السودانية

الحرب الحبشية السودانية

١٨٨٥ - ١٨٨٨

(الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش)

تأليف

اسماعيل عبد القادر الكردفاني

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم
والدكتور محمد سعيد القدال

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

الإهـــداء

إلى الجندي السوداني

ظل الجندي السوداني على مدى التاريخ المدافع الصلب وحامي البلاد الأمين من التسلط والقهر..

برز ذلك في حركات تمرده وعصيانه في العهد التركي.. تلك التحركات التي أزعجت السلطات الدخيلة وهزت هيبتها وأعدت التربة الصالحة لنمو بذور المهدية على أرضنا الطيبة.. البذور التي قدر لها فيها بعد أن ترتوي بدمه عندما قدم هذا الدم ـ عن طواعية ـ لتقوم أمجاد المهدية على كتفيه.

في كل العهود كان يتخذ مواقعه المتقدمة، ومع تعدد هذه المواقع وكثرتها كانت السمة المميزة لمواقفه هي الصلابة والعناد.. النصر أو القبر.

وطوال سبعة عشر عاماً بعد الاستقلال تشبث براية وحدة التراب ورفعها عالية خفاقة بينما هبت الرياح من كل جانب عاصفة مهددة.

إنه الجندي الوحيد في أفريقيا الذي قدر له أن يعاني كل هذه المعاناة وأن يبذل كل هذا البذل.

وهذا الكتاب يتناول سلسلة من ملاحمه البطولية في مرحلة حافلة من مراحل نضاله.

لذلك ـ وغير ذلك كثير ـ يسعدني إهداء هذا الكتاب إلى الجندي السوداني.

محمد ابراهيم أبو سليم

١

تمهيد للوضع:

شهدت القارة الافريقية في القرن التاسع عشر تحولات اجتماعية وسياسية عنيفة نتيجة للتأثيرات الأوربية التي تمثلت في سياسات الدول الأوربية من أجل السيطرة، وفي رد الفعل الناجم عنها من داخل القارة، وفي بعض الأدوات الجديدة كالسفن البخارية والقاطرة التي يسرت الاتصال ونقلت الجيوش والبضائع على حد سواء، وكالبندقية التي يسرت سيطرة العدد القليل من الرجال على اضعافهم ممن يحملون السيوف والحراب.

إن هذه التأثيرات قد حركت أمواجاً هائلة وتيارات جد عنيفة في بحر عميق الغور، وأضحت الشعوب الأفريقية من جرائها تواجه في وقت واحد التغول الأوربي للسيطرة على البلدان واخضاع شعوبها، وصراع الدول الأفريقية ذاتها فيما بينها، والانقسامات الداخلية في داخل هذه الدول من أجل السلطة، ومشاكل هذه الدول المزمنة في الادارة واخضاع الطبيعة.

وكانت الشعوب الأفريقية تتفاعل مع هذه الظروف وتواجه تأثيراتها العميقة في الحقل وفي السياسة وفي التجارة وفي ساحة القتال وتعيش هذا التحول الحضاري. وقد أدى هذا التفاعل في حالات كثيرة إلى تخلخلات اجتماعية واقتصادية عنيفة، وهذه أدت بدورها إلى ثورات، كالثورة المهدية في السودان وثورة عرابي في مصر وثورة محمد عبدالله بالصومال.

وكانت منطقة شمال شرق أفريقيا والتي تشمل مصر والسودان والحبشة

تعيش هذه التجربة بثقلها منذ أن حلت جيوش نـابليون في مصر في سنـة ١٧٩٨ ودخلت جيوش نابيير في الحبشة في مطلع عام ١٨٦٨.

لقد شهدت مصر منذ مغيب القرن الثامن عشر أحداثاً هامة لعل أهمها حملة نابليون وتحطيم الجهاز الاقطاعي العسكري المدمر الذي أقامه المماليك. وتبع فشل الحملة الفرنسية في البقاء في مصر وجلاءها عنها تحول سياسي آخر تمثل في صعود محمد علي إلى الحكم على اكتاف فئات اجتماعية هي الاقطاع التركي - المصري الجديد الذي جعل من محمد علي أداة لتحطيم المماليك. وكان أن انفتح الطريق أمام طبقة اقطاعية جديدة أخذت تبحث لنفسها عن آفاق جديدة لتوسيع نشاطها الاقتصادي، وقد توافق ذلك مع طموح محمد علي الشخصي، فانـدفعت جيوشـه إلى الحجـاز وإلى الشـام وإلى السـودان وسواحل البحر الأحمر.

وكان السودان يعاني من نظامه السياسي المتخلف والذي لم يقو على كبح جماح الاضطرابات الداخلية والمطامح المحلية ذات النزعة الاستقلالية عن فلك سلطنتي سنار ودارفور. وعلى الأثر تدهورت الحركة التجارية وتهددت طرق القوافل.

وفي هذا الجو المضطرب سهل على جيوش محمد علي اقتناص فريسة متعبة.

على أن الفتح التركي المصري قد نقل تأثيرات حضارة البحر الأبيض وتأثيرات الحضارة الأوربية إلى هذه البلاد وانتقل بها نقلة بعيدة؛ وشاهد النيل السفن البخارية والمراكب التجارية التي لم تعرفها البلاد من قبل تصعد النيل إلى أعاليه وواجه الناس البندقية ذات التأثير الحاسم في أي صراع وانتعشت التجارة وبلغ تأثيرها أصقاعاً بعيدة.

وقد توحد القطر ووضعت نواة السودان الحديث.

وفي نفس الوقت كان هناك رد الفعل ومقاومة هذا النمط الجديد من

النظام والذي انتهى بالثورة المهدية التي أطاحت بالادارة المصرية وأقامت نظاماً دينياً ودولة.

ويمكن أن يقال إن مهمة هذا النظام كانت تتلخص في تطبيق أحكام الإسلام في السودان بالوجه الذي تصوره المهدي، ونشر هذا التطبيق على نطاق العالم بحد السيف إن لم ينفع الاقناع. ولذلك كانت المواجهة المسلحة مع الدول المجاورة، مصر والحبشة وغيرهما.

وفي الحبشة توافق بزوغ الاتجاه نحو تقوية الامبراطورية وتوحيدها مع الغزو الإنجليزي بقيادة نابيير. وبالتالي أخذت الحبشة تستجمع جهودها لخلق السلطة المركزية القوية ولمواجهة الضغط الخارجي. وقد نجحت الحبشة بفضل مجهودات ثيودور ويوحنا الرابع ومنليك الثاني.

وفي سبيل المواجهة الخارجية واسترداد بعض ما كانت مصر قد أخذته وربما من أجل التوسع نحو السودان بعد انهيار الإدارة المصرية، دخلت الحبشة في الصراع مع المهديين.

ولكنها بالرغم من الهزائم التي منيت بها على يد هؤلاء وعلى يد الأوربيين، وبالرغم من الأعاصير الداخلية والمنازعات ظلت محتفظة بكيانها المستقل.

في داخل هذا الإطار التاريخي كانت الحوادث المتشابكة بين مصر والسودان والحبشة تتوالى وتأخذ مجراها.

ولقد بدأت جيوش محمد علي غزوها للسودان من الشمال واستمرت في زحفها حتى سقطت سنار عاصمة الفونج. وفي نفس الوقت سارت قوة أخرى لتضم كردفان. وبعد تعديلات متعاقبة في الترتيبات الإدارية وحدت ادارة هذه البلاد وصارت العاصمة مدينة الخرطوم التي انشئت حديثاً. ومن هذا الموقع بدأت سلسلة أخرى من التوسعات في اتجاه النيل الأعلى وبحر الغزال ودار فور ونحو التاكة والقلابات، وقد أمكن ضم هذه الاقاليم الشاسعة في فترة تعد قصيرة. وكان هناك توسع آخر في اتجاه الحبشة من جهتي الشمال

والشرق. لقد كان فتح السودان امتداداً طبيعياً مع النيل ورغبة في السيطرة على منابعه. أما النشاط في السواحل الشرقية فقد كان هدفه السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارته ثم تقوية مركز المصريين في الحجاز وقفل الطريق أمام أي غزو للسودان من اتجاه الشرق.

لقد حاز محمد علي، بعد فتح سنار، على مينائي سواكن ومصوع بالايجار من تركيا، وكان هذا مشروطاً بمدى حياته. ثم تمكن حفيده إسماعيل باشا من شراء ساحل البحر الأحمر. وبعد عمليات متعاقبة حصن مدينة زيلع بأرض الدناكل ومصوع بالصومال وحاز على اقليم هرر وبوقوص. وقد حاول إسماعيل الاستمرار في التوسع إلى داخل الحبشة إلا أنه مني بهزائم على يد الامبراطور يوحنا الرابع في قندر في سنة ١٨٧٥م وفي غورة في سنة ١٨٧٦ وبذلك اكتفى المصريون بسنهيت ومصوع.

ولما جاءت المهدية تعاون الامبراطور يوحنا مع المصريين في عملية سحب القوات المصرية من القلابات وكسلا وحصل مقابل ذلك على كرن وبوقوص. وقد نجح في سحب حامية القلابات بعد صعوبات شديدة. أما كسلا فقد توجه الرأس الولا لمعاونة حاميتها وسجل انتصاراً على الانصار في كوفيت. ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة إزاء الموقف في مدينة كسلا فاستسلمت للمهدية.

وبذلك يكون نفوذ المصريين قد انتهى في هذه المنطقة. ولكن هذه التسوية، بالإضافة إلى التوسع المهدوي تحت راية الجهاد المقدس، قد جعلت الحبشة في مواجهة المهدية. وفي نفس الوقت كان الايطاليون يضغطون للتقدم في منطقة اريتريا بعد أن خلا لهم الجو بزوال النفوذ المصري.

العلاقات بين الحبشة والمهدية:

لقد سارت العلاقات بين الحبشة والمهدية على مدارين. كان المدار الأول هو الصراع المسلح في منطقة القلابات والذي جاء عقب مشاركة الحبشة في سحب الحاميات وتعيين محمد أرباب عاملاً عليها من قبل المهدي. ثم توالت الحوادث على الوجه الذي يأتي الكلام عنه في مكان آخر.

وكان المدار الثاني هو المدار الدبلوماسي الذي أخذ شكل المراسلات وتبادل السفراء والرسل بين الحكومتين.

بعد أن انتشر أمر المهدية وحققت انتصاراتها الساحقة على الإدارة المصرية في السودان والتي بلغت قمتها بسقوط الخرطوم في مطلع عام ١٨٨٥ كان لا بد لحكومة الحبشة أن تقف على أمر هذه الحركة ومراميها وأن تحاول خلق علاقات معها. ولذلك بادر يوحنا الرابع امبراطور الحبشة فأرسل خطاباً إلى المهدي، وهو الذي رد عليه المهدي بخطابه المؤرخ في رمضان سنة ١٣٠٢هـ ١٦ يونيو سنة ١٨٨٥م[١]. ومن المؤسف أننا لم نعثر على نص خطاب يوحنا لأن أصله لم يحفظ ولأن أحداً لم يحفل بنقله. ولكن اشارة المهدي إليه تعطينا فكرة عن مضمونه. فالمهدي يشير إلى الخطاب ويثني على يوحنا لمحاولته الوقوف على حقيقة المهدي والمهدية. أما تاريخه فيبدو من تاريخ الرد عليه أنه كان بعد فتح الخرطوم وقريباً من تاريخ وفاة المهدي.

وقد جاء رد المهدي مبيناً أن الإسلام قد نسخ كل الديانات ومن ضمنها المسيحية ومشيراً إلى اضمحلال الإسلام على يد الترك لفسادهم وانشغالهم بالدنيا. ثم يذكر أنه ظهر موكلا من قبل العناية الإلهية لهداية الخلق وتقويم الدين وأنه قد فرغ من السيطرة على السودان. ثم يثني على يوحنا لمحاولته الوقوف على حقيقة المهدي ويطلب إليه الدخول في الإسلام وأن

(١) المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٧٩١.

يكون كالنجاشي الذي ناصر الإسلام وأن يصير في كنف المهدية «وإلا فإنما عليك اثمك واثم من تبعك ولا بد من وقوعك تحت يدنا».

لقد كان ذلك الخطاب صورة حقيقية لروح المهدية في سنواتها الأولى عندما كانت تضع حداً فاصلاً بين المؤمن بها وغير المؤمن ولا تقبل بين هذا وذلك وضعا.

ثم جاء رد يوحنا بعد وفاة المهدي بفترة طويلة مؤرخاً في ٢٤ سبتمبر ١٨٨٥، وكان خطاباً حانقاً فيه الكثير من التحدي. وقد جارى يوحنا المهدى في دعوته فعرض عليه الدخول في المسيحية، وبذلك أصبح هناك حاجز ديني بين الحبشة والمهدية، وقد أضحى هذا الحاجز من العوامل الأساسية التي أثرت في مسيرة العلاقات بين البلدين وتطورها.

وبعد وفاة المهدي سار الخليفة على نهجه رافعاً راية الجهاد المقدس وعاملاً لاعلاء كلمة الله. والجهاد سواء كان في النطاق المحلي أو الخارجي من الأفكار الأساسية في دعوة المهدية، ولذلك كان من الطبيعي أن يتمسك به الخليفة. ولكن ذلك كان في أول عهده، لأن الجهاد المقدس والتوسع إلى داخل الحبشة بعد الحروب الطاحنة وخسائرها الفادحة والصعوبات العملية إزاء الاحتفاظ بالبلاد المفتوحة قد أصبح دعوة مظهرية تقال دون أن تعنى بجدية، وأضحت للخليفة دوافع أخرى محلية.

لقد كان الخليفة يهدف إلى أن تظل جيوشه مشغولة بالغزوات لأنه لا يريد أن تبقى تلك الجيوش في حالة هدوء مما قد يدفع بها للتعدي على الأهالي أو هبوط الروح العسكرية وقدرتها نتيجة انصرافها عن الحرب أو قد يدفع القادة إلى محاولة الإنفراد بالسلطة. وكانت الغنائم التي تأتي بها الحروب تكون مصدراً عظيماً من مصادر الصرف على الجيش. وكانت منطقة القلابات لها أهمية خاصة، فهي من أهم المراكز التجارية في السودان وهي باب التجارة مع الحبشة، ولذلك كانت المحافظة عليها تعود على دولة المهدية بفوائد تجارية هائلة كما تضمن لها السيطرة على سير التجارة نفسها. بالإضافة إلى ذلك لها

أهمية استراتيجية. فالقلابات «ثغر حصين على حدود الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه مسدوداً»(١).

لقد كانت هذه الظروف المحلية داخل إطار الاختلاف الديني وبتأثيرات الوجود الاستعماري هي التي كيفت العلاقات.

استمر التحرش بين المهدية والحبشة في عهد الخليفة بل لعله كان يتصاعد يوماً بعد يوم. وقد استهل الخليفة عهده بخطابين من يوحنا جاءا في مطلع السنة التالية. ولسنا ندري لماذا أرسل يوحنا خطابين. وعلى أي حال لم يقبل الخليفة روح الجوابين ولا الأسلوب الذي اتبعه يوحنا. وقد بدا ذلك واضحاً من تعليقه الذي جاء في خطابه إلى محمد أرباب(٢) وتعليقه الآخر في خطابه إلى عبدالله الطريفي(٣). ففي الأول يقول: «ورد الجوابين من الكافر النقس... ونقول الله أكبر على كل من كفر وتمرد وفجر والله ولّي الذين آمنوا... والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت. وفي الثاني يقول: «أما من خصوص عدو الله ريس الحبشة فإن خطابه وصل وعلم ما هو منطوياً عليه، خذله الله وأذله ولا تخشوا من جهته فإنه مطرود مخذول».

ما كان لمثل هذه الاتجاهات من قبل الطرفين أن تؤدي إلا إلى الحرب. ولذلك ظلت الغزوات والمناوشات والأعمال العدائية تغطي منطقة القلابات والاقليم المجاور لها بأرض الحبشة.

وفي البداية سجل الحبش نصراً على الأنصار بهجومهم الكاسح على القلابات في يناير سنة ١٨٨٧ وابادتهم حامية الأنصار بها. وكان من ضمن القتلى الأمير محمد أرباب نفسه.

ولقد وصلت أنباء هذه الهزيمة أم درمان مصحوبة بانسحاب الجيش الحبشي بعد أن سجل انتصاره فأثارت الخواطر ولذلك بادر الخليفة بارسال

---

(١) نعوم شقير، تاريخ السودان، ص ١٠٦٠.
(٢) الخليفة إلى محمد أرباب ١٢ محرم سنة ١٣٠٣هـ مهدية صادر ٩ ص ١٧.
(٣) الخليفة إلى عبدالله الطريفي ١٢ محرم سنة ١٣٠٣هـ مهدية صادر ٩، ص ١٨.

الأمير يونس الدكيم الذي كان يعمل بمنطقة الجزيرة ليتولى القيادة بالقلابات ويواجه الحبشة.

ثم أرسل لحمدان أبي عنجة الذي كان بجبال النوبة ليقدم إلى أم درمان توطئة لارساله إلى القلابات.

وفي نفس الوقت أرسل خطاباً إلى يوحنا يطلب فيه الخضوع للمهدية والانخراط في سلكها ومتهماً إياه بالتعدي على حدود الإسلام وايواء المعتدين على الحدود كصالح ادريس شنقة. وقد أنذره الخليفة بأنه سيشن عليه حرباً إذا لم يسلم إليه المأسورين من المسلمين واللاجئين الراغبين في العودة مع ذكر أسماء الرافضين للعودة بأختامهم ويتوقف كلية عن التعدي على الحدود، ولكن يوحنا لم يكلف نفسه بالرد على الخطاب وإنما وجه الراس عدال لكي يستعد لمعركة فاصلة مع الأنصار.

ولما وصل يونس إلى القلابات باشر الأمر بمناوشات يقودها بعض الأمراء، وقد ذكرها المؤلف في هذا الكتاب ببعض التفصيل. ولسنا بحاجة إلى مزيد.

ثم جاء حمدان فقاد جحافل الأنصار إلى داخل الحبشة ودخل قندر في يناير ١٨٨٨، وسجل بذلك انتصاراً عظيماً. ولعله كان أقصى اتساع للمهدية في داخل الحبشة، بل خارج حدود السودان على الاطلاق. وبعد أن نال حمدان هذا الظفر عاد إلى قاعدته في القلابات.

ولكن ما هو الهدف من هذه الغزوة التي كبدت الأنصار الخسائر الفادحة؟ يقول حمدان في ذلك: «فقد رأى الكفار سطوة المهدية وراعت قلوب جميع أهل دارهم مع ما وقفنا عليه من قياس أرضهم ومعرفة الأغلب من جهاتها، وفي شقة حزب الله الغالب لدار الحبشة عبرة لأولي الألباب، إذ أنها من أعجب العجائب»[١].

ولكن هذا لا يفسر لنا السبب في عودة الحملة المنتصرة، ويبقى السؤال

(١) حمدان إلى الخليفة، ١٥ جماد أول سنة ١٣٠٥ مهدية ١/٢٩/ ١/٦٧.

لماذا لم يواصل حمدان زحفه أو على الأقل لماذا لم يواصل الاقامة في قندر. لقد أعطى حمدان تبريراً لذلك في خطاب منه إلى الخليفة فقال: «لقد كانت أوبتنا للمركز كوعدنا للمراحم وعدم التصريح الكافي من قبل هذا في اقامتنا بدار الحبشة والتوجه لما يلزم من الجهات ولأن الأخبار قد انقطعت من جهتنا على السيادة من مدة فلذلك حضرنا بالسلامة[1]» ففي هذه الرسالة يذكر أبو عنجة عدة أسباب للعودة إلى القلابات ولكنها لا تكفي للاقناع. فإذا كان السبب الرئيسي هو عدم تصريح الخليفة للجيش بالبقاء في الحبشة فإن السؤال التالي يكون لماذا لم يصرح الخليفة بذلك.

لا شك أن العامل الجغرافي كان من أهم الأسباب الجوهرية. فطبيعة الأرض الجبلية وغزارة الأمطار وبرودة الجو لا تناسب الأنصار الذين لم يألفوا تلك الظروف. وإذا علمنا أن فصل الخريف كان وشيكاً، وهو عنيف خصوصاً في المناطق المرتفعة وأنه يؤدي إلى قطع المواصلات لادركنا أن العودة كانت لها مسبباتها الموضوعية.

ولم تكن حروبات المهدية مع الحبشة حروبات توسعية في واقعها بقدر ما هي غزوات إما من أجل الغنيمة وتحريك الجيش وشغله وإما لمجرد رد الاعتبار إثر بعض الهزائم. وكان جل ما تبغيه هو المحافظة على اقليم القضارف والقلابات.

ومن الناحية البشرية لم يجد الأنصار إقبالاً صادقاً من الجبرتة كما أن بقية السكان كانوا معادين بحكم الدين. ولذلك لم تجد المهدية الأرضية البشرية المرجوة لبناء الدعوة الدينية ونشرها.

ولم يكن في قندر وما جاورها من البلاد ما يكفي لمؤونة هذا الجيش الضخم.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن الخليفة كان عزوفاً عن أي توسع في اتجاه

---

(١) حمدان إلى الخليفة، ١٩ جماد أول سنة ١٣٠٥ مهدية، ١/٢٩/ ١/٧٢.

الحبشة لدواعٍ عسكرية وسياسية، إذ أن الاسبقية في الاهتمام والاعداد كانت لمنطقة سواكن ولحملة مصر والجهود المبذولة في دارفور.

ماذا كان رد الفعل عند يوحنا! لقد قام يوحنا بجمع جيش ضخم وزحف به نحو القلابات حتى التقى بالأنصار بقيادة الزاكي طمل، إذ كان حمدان قد توفي، وكانت معركة القلابات التاريخية التي قتل فيها يوحنا واندحر فيها جيشه وسجل بذلك الزاكي طمل انتصاراً عظيماً.

لقد كان من عواقب انتصار الزاكي على الحبشة في هذه الواقعة الحاسمة أن تعرضت الحبشة لعدة سنوات إلى الفوضى والاضطراب. وقد أدرك الزاكي ذلك فذكر في خطاب له أنهم «في أشد الهرج والمرج والزلزلة والهول. ولقد صاروا يقتلون بعضهم بعضاً». ثم استنتج «أن جميع الدار بعد هذا تؤمن بالمهدية»[(١)] ولذلك اقترح على الخليفة أن يكتب إلى بعض قادة الحبشة المهمين مثل الراس عدال ومنليك وغيرهما لأنهم إذا اكرموا حسب رأي الزاكي «بمذاكرة من لدن جنابكم يحضروا بالطاعة مهرولين لاسيما أن تلوح لهم بأن لهم الملك في الجهة على حكم المهدية»[(٢)] وقد استجاب الخليفة لطلب الزاكي وكتب إلى قواد الحبشة يعرض عليهم الدخول في «ملة الإسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي عليه السلام»[(٣)].

ويبدو أن الخليفة ورجاله كانوا يبالغون في أهمية انتصارهم الحربي على يوحنا لأنهم كانوا يجهلون حقيقة الصراعات الداخلية التي كان يدور رحاها ويجهلون طموح قواد الحبشة من أجل السلطة ولذلك فإن مصير خطابات الخليفة لهؤلاء القواد كان الإهمال لأنها كانت بعيدة عن واقع الحبشة وظروف قوادها وتنطق عن واقع المهدية واتجاهها الحازم في الولاء لها. وعلى ذلك فإن انتصار الخليفة على الحبشة لم يؤد إلى تقويض تلك الامبراطورية أو تحويلها

---

(١) الزاكي إلى الخليفة في ٢٤ شوال سنة ١٣٠٦، مهدية ١/٤/ ١/٦٥.
(٢) الزاكي إلى الخليفة في ١٥ رجب سنة ١٣٠٦، مهدية ١/٤/ ١/٢٦.
(٣) الزاكي إلى الخليفة في ١٣٠٦، مهدية ٢/٣١ / ٦/٢٨٢.

عن مجراها وإنما نجح في انهاء الصراع الدموي بين الدولتين وأودى بطموح الحبشة في غزو السودان.

لقد كانت حرب القلابات في جوهرها حرباً محلية. ولكن آثارها كانت وخيمة على الدولتين، ذلك لأن جهداً كبيراً قد بذل من الطرفين من أجلها، وقد عاق ذلك الجهد المبذول من قبل الحبشة لصد الغزو الايطالي، فتقدم الايطاليون مستغلين انشغال الحبشة بالصراع الداخلي وكسبت المهدية عدواً جديداً يواجهها مواجهة مباشرة، وبدرجة أكثر خطورة من الحبشة. لقد هزم الايطاليون جيوش الخليفة في واقعة اقوردات في ١٨٩٣ ثم احتلوا كسلا في يوليو ١٨٩٤.

ولكن يبدو أن الطرفين السوداني والحبشي قد وعيا الدرس بعد محصول القلابات. فقد انكمش النشاط العسكري بعد الزاكي ثم انتقل المركز الحربي من القلابات إلى القضارف.

أما النشاط التجاري فقد أصبح يمثل عنصراً هاماً في علاقات الدولتين، ويسير دائماً بينهما دون أن يتأثر بالظروف الحربية. وكان النقادية «واردين بحالة اطمئنان وهم لا لهم تعلق بالحرابة ومن عوايدهم السابقة أن الحرابة تكون دايرة ما بين الأنصار والمكادة وهم يحضروا ليبيعوا ويشتروا»[1].

وفي العقد الأخير من عمر المهدية أصبح النشاط التجاري يمثل التحرك الأساسي في تلك المنطقة. فانتعشت التجارة وارتفعت الإيرادات في القلابات من العشور التي كان يدفعها النقادية. ففي فبراير ١٨٩٨م بلغت ١٠٠٠ ريال وفي الشهر التالي ١٥٠٠ ريال وفي نهاية نفس الشهر كانت ١٠٠٠ ريال أخرى. وكانت تلك الأموال الطائلة هي السبب الذي جعل الخليفة يفكر في الدخول في التجارة بنفسه باستثمار رأس مال في التجارة لجلب البضائع من الحبشة. وفعلاً سارت الاجراءات لتنفيذ تلك الخطوة في سرية تامة وكان مندوبو الخليفة يتصلون بالنقادية سراً ولكن انشغال الخليفة بالزحف المصري الإنجليزي الذي بدأ في ذلك الوقت قد أدى إلى توقف تلك المساعي.

(١) احمد فضيل إلى الخليفة، ١٩ شوال ١٣١٣، مهدية ٢/٢٦/ ١٠/١٣٨.

أما العلاقة الدبلوماسية فقد تطورت بين البلدين في تلك الفترة تطوراً ملحوظاً وإننا نحيل من يود الاستفاضة إلى مقال الاستاذ ساندرسن في مجلة السودان في مدونات ومذكرات عن العلاقات السودانية الحبشية، وإلى كتابه عن العلاقات الدولية إزاء أعالي النيل وإلى كتاب الاستاذ هولت عن دولة المهدية، وقد أوردنا هذه الكتب في ثبت مصادر هذا التحقيق. على أنه من حق القارئ أن نعطيه هذا التلخيص المقتضب لما آل إليه الأمر: لقد أرسل منليك عدة وفود من جانبه إلى الخليفة وفعل الخليفة نفس الشيء وكادت تلك الوفود أن تصل إلى عقد صلح بين البلدين لولا أن الغزو المصري الإنجليزي على السودان قد وصل أبواب أم درمان[1]. ولا شك أن تحرك الحبشة كان بإيعاز من فرنسا. وقد وصل التفاهم بين البلدين حداً طلب فيه الخليفة من منليك أن يعاونه على اخضاع ولد تور الغوري حاكم بني شنقول الذي تمرد على سلطة الخليفة، فوجدها منليك فرصة وزحف بجيشه على النيل الأزرق وارسل حملة أخرى إلى النيل الأبيض بحجة وقف الزحف الأوربي[2].

٣

كتاب الطراز:

إن كتاب الطراز الذي نقدمه إلى القارئ العربي بهذه المقدمة الطويلة ليعد وثيقة هامة في موضوع هذا الصراع.

وقد كان كتاب الطراز أول كتاب يؤلف في هذا الموضوع، بل كان صاحبه أول من وضع كتاباً في تاريخ المهدية، إذ لم يسبق كتابه «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» أي كتاب آخر.

وإذا كانت وجهة نظر الأوربيين قد وضحت في مجلدات كثيرة صدرت

---

(١) أقوال محمد عثمان حاج خالد التي أدلى بها بعد واقعة كرري مهدية ١/٣٤/٢٥/١٤٣-١٥٠

(٢) مهدية ١/٣٤/١٦/٢٥٩.

عن التنافس الدولي في أفريقيا فإن وجهة نظر الأنصار كانت في ضباب حتى تم العثور على كتاب الطراز وبعثت وثائق المهدية المتصلة بهذه القضية في السنوات الأخيرة وأضحت ميسورة للباحثين.

وإننا لنرجو أن تجد وثائق الجانب الحبشي نفس الحظ وأن تيسر للباحثين ـ هذا إذا كانت هذه الوثائق موجودة بالفعل.

المؤلف:

لقد وردت تفاصيل مطولة نوعاً ما عن حيّاة إسماعيل عبد القادر في مقدمة كتابه الآخر: «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» وهو مؤلفه الرئيسي، ولذلك فإننا نكتفي هنا بإبراز الجوانب الرئيسية فقط.

لقد ولد إسماعيل في عائلة دينية مشهورة بكردفان هي عائلة إسماعيل ابن عبدالله المشهور بالولي ومؤسس الطريقة الإسماعيلية. فهو ابن إحدى بناته. وخاله الأول محمد المكي أكبر أبناء أبيه وخليفته، وفي بيته زعامة الطريقة إلى اليوم، وكان موالياً للمهدية ونصيراً للخليفة عبدالله. وخاله الثاني أحمد الأزهري له قصة مخالفة. فقد تعلم بالأزهر الشريف ودرس فيه. ولما عاد إلى السودان وقف ضد الثورة المهدية وألف كتاباً في معارضتها. وقد قتل وهو يصارعها في واقعة قرب مدينة بارا. أما والده فلا يعرف عنه شيء.

وكان مولد إسماعيل بمدينة الأبيض حيث تتركز أسرته حوالي ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م. وقد قضى الطرف الأول من حياته في هذه المدينة وارتاد خلاويها فحفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم الدينية. ثم توجه إلى مصر برفقة خاله أحمد الأزهري الذي سبقه إلى الأزهر وتعلم فيه ثم نصب نفسه للتدريس فيه. وقد قضى إسماعيل بالأزهر فترة طويلة ويقال إنه أصاب شهرة طيبة بين أترابه وانه نال بعض الجوائز في الشعر.

ثم عاد إلى وطنه عن طريق درب الاربعين وانيطت به وظيفة الافتاء

بكردفان، وقد ظل محتفظاً بمنصبه هذا حتى التحق بالمهدي فيمن التحق به من أهل الأبيض عندما حل بأطرافها.

ثم تمر سنوات يضيع فيها إسماعيل وسط الزحام ويطويه النسيان ويبدو من واقع الحال أنه لم يقم بدور في الوقائع الحربية أو في التقلبات السياسية.

ثم ظهر فجأة في عام ١٨٨٩ عندما ألف كتابه الأول «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي»، وهو أول مؤلف يكتب في تاريخ المهدية، فعلا شأنه وارتفع مقامه وقربت صلته بالخليفة وصار له نفوذ يحسد عليه. ويبدو من تكليف الخليفة عبدالله له ليكتب كتابه الآخر عن الحرب الحبشية أن كتابه الأول ظفر بتقدير الخليفة واستحسانه.

ويمكننا أن نعتبر بغير تردد أن مكانته بين القضاة والعلماء قد أضحت عصيمة، فاسمه يظهر في وثيقة الحكم على الخليفة محمد شريف في الترتيب الرابع بعد القاضي أحمد علي ومحمد المكي بن إسماعيل وعبد القادر بن أم مريوم. وهو يظهر في الترتيب الثالث في وثيقة صدرت عن كبار القضاة والعلماء بصدد استيلاء بيت المال على المراكب والمشارع.

ثم نقم عليه الخليفة عبدالله بعد ذلك لأسباب يأتي تفصيلها في مقدمة المستهدي وأرسل إلى الرجاف منفياً وقد ظل مسجوناً هناك حتى مات في أواخر ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٧م.

مؤلفاته:

ولإسماعيل مؤلفان: كتاب سعادة المستهدي الذي أشرنا إليه مراراً، والطراز هذا. وله قصيدة ينقلها كاملة في كتاب المستهدي، ومطلعها:

سمت قبة المهدي مجداً وسؤددا ونيطت بها الجوزاء عقداً منضدا

وله كلمة تقريظ قصيرة لكتاب الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية للحسن سعد العبادي، وقد نقل هذا التقريظ في آخر الكتاب المطبوع بمطبعة الحجر بأم درمان[1].

(١) الأنوار السنية ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥.

ولقد وضع المؤلف كتاب سعادة المستهدي في ١٣٠٦ هـ ثم اتبعه كتاب الطراز في السنة نفسها. وقد استنسخت من لكتابين نسخ قليلة.

كتاب سعادة المستهدي:

يقع سعادة المستهدي في أصله المخطوط في ٤٠٥ صفحات. وقد قسمه المؤلف إلى خطبة ومقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

وقد ذكر المؤلف في الخطبة دواعي التأليف وذكر صراحة أن الخليفة عبدالله أشار عليه بوضعه ثم أردف ذلك بأنه يريد أن يسجل انتصارات المهدية وأن ينشر خبرها في العالمين. ثم تعرض بعد ذلك إلى تكوين الكتاب فوصف أجزاءه. وفي المقدمة أورد الأحاديث الواردة في شأن المهدي المنتظر وظروف ظهوره. ثم حاول في الباب الأول أن يطبق محصول هذه الأحاديث على مهدي السودان ليثبت أنه مستوف للشروط الواردة عن المنتظر. وفي البابين الثاني والثالث تعرض إلى أخلاقه وصفاته وما ذكر من أخبار حياته الأولى. وفي البابين الرابع والخامس عالج طرفاً حرجاً من حياته وهو فترة الدعوة الاصلاحية السلمية قبيل المهدية ثم أيام المهدية الأولى. وفي الباب السادس يصف معركة أبا. ثم يصف في الباب التالي هجرته إلى قدير ثم اندلاع الثورة في كردفان وما تبع ذلك من أحداث حتى سقطت مدينة الأبيض في يد المهدي ودانت اقاليم كردفان باسرها له. وفي الباب الثامن تكلم عن فتوح المدائن وعن الوفود التي أتت ثم تكلم عن وفاة المهدي. وفي آخر الكتاب ذكر بناء قبة المهدي وأورد ابعادها ونقل قصيدته المشهورة في قبة المهدي.

كتاب الطراز:

لقد وضع إسماعيل عبد القادر كتابه «الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش» بعد كتابه «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» وقد فرغ المؤلف من تأليف سعادة المستهدي، كما جاء في ذيل الكتاب، في يوم الاربعاء ثاني ربيع الأول ١٣٠٦ هـ/ ٦ نوفمبر ١٨٨٨ ثم فرغ من كتاب الطراز كما

جاء في ذيله أيضاً في السادس من شوال من نفس السنة وهو يوافق ٦ يونيو ١٨٨٩. وعلى ذلك فإن تأليفه قد وقع بعد انتصار الخليفة على الحبش في القلابات وانتصاره على أبي جميزة في دار فور وقبل أن يذوق الأنصار مرارة الهزيمة في توشكي على الحدود المصرية.

وقد سبق صدوره فترة حرجة من تاريخ المهدية تمت فيها تصفيات داخلية ذات أبعاد عميقة. فبعد صدور الكتاب نقم الخليفة على قائده المنتصر في القلابات الزاكي طمل وسجنه حتى مات جوعاً، ثم جاء الدور على الحسين ابراهيم زهرا، ذلك العالم الجليل الذي طالما دافع بقلمه عن المهدية وأزكى الروح بشعره. ثم جاءت نكبة الاشراف. ولا ننسى بعد كل ذلك أن النقمة قد حلت بالمؤلف نفسه.

وقد وضع المؤلف كتابه بتكليف من الخليفة. وهو يصرح بذلك في خطبة الكتاب فيقول «دعاني داعي الفلاح ولمعت لبصيرتي بوارق أهل العناية الذين استبان لهم طريق بيان الحق ولاح مع ما استثار به الفؤاد من الإشارة المقرونة باليمن والسعادة الموصلة إلى رضوان الله من أمر منهج أهل التسليم واردة لجمع رسالة تتعلق بحرب الحبشة متكفلة ببيان وقعة النقس يوحنا التي افضت به إلى الهلاك والدمار».

ومن الواضح أن هذا التكليف قد جاء بعد أن حاز كتابه الأول إعجاب الخليفة وتقديره.

غير أن للمؤلف دافعاً ذاتياً في التأليف وهو أن انتصار الأنصار على قوات الحبشة في القلابات يعد عنده «من الفتوحات الإسلامية الفخيمة التي يجب نشرها ليعم الخافقين نشرها وتكون موعظة بليغة لجميع ملوك الدول وعبرة لأهل الترف الرافلين في أثواب العظمة واللابسين من الترفع والخيلاء تلك الحلل لعل الله يهديهم للدخول في الدين المستقيم ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه صلاحهم وهدايتهم».

فالمؤلف يعتبر هذا النصر نصراً إسلامياً عظيماً لم يحصل للإسلام أن

سجل مثله في أرض الحبشة ولذلك يحق له أن يتغنى به وأن ينشر خبره في العالمين.

ولقد أغفلت مصادر المهدية اغفالاً تاماً عن كتاب الطراز ولم تشر إلى خبره، ولولا أنه وجد مع المستهدي في مكتبة درم لما عرف العالم عن وجوده ولاختفى خبره كلية.

إن نعوم شقير لا يذكره في تاريخه ولا في تقريره مع أنه وقف على النسخة الوحيدة منه ومن كتاب سعادة المستهدي واشتراهما. ولعله اعتبره طرفاً من كتاب سعادة المستهدي أو ملحقاً له. أما سلاطين فلم يذكره كلية مع أنه ذكر خبر المؤلف وخبر سعادة المستهدي. ومن المحتمل أنه لم ير الكتاب بعينه ولا رأى سعادة المستهدي وإن كان خبر المؤلف قد بلغه فيما كان يبلغه من أخبار المجتمع. والشيخ محمد عبد الرحيم لا يذكر خبر الكتاب عندما يتكلم عن حياة المؤلف ومؤلفه الآخر.

وككتاب المستهدي ظل الطراز مخطوطاً ولم يقدر له الطبع بمطبعة المهدية ولا بالمطابع الحديثة. وكان عدد ما استنسخ منه - فيما يبدو - قليلاً، وإلا لعرف الكتاب واشتهر. أو لعله كان يضاف إلى كتاب المستهدي فيعد منه. ولما حلت النكبة بالمؤلف، ثم بالمستهدي فاحرق، كان للطراز نفس الحظ فاختفى حتى اشترى نعوم نسخة وحيدة منه كانت مع نسخة من المستهدي، وهي النسخة التي اكتشفت بمكتبة كلية الدراسات الشرقية بجامعة درم بإنجلترا.

وهذه النسخة مكتوبة بخط محمد أحمد هاشم. وقد جاء في الذيل أن نقله قد تم في يوم عاشوراء ضحوة ١٣٠٨ أي في العاشر من محرم، وهو يوافق في التاريخ الميلادي ٢٦ أغسطس ١٨٩٠.

وقد تأكد لنا من مضاهاة خط المخطوط بخط محمد أحمد هاشم الذي توجد نماذج معروفة من خطه بدار الوثائق المركزية، أن خط المخطوط هو خطه وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه النسخة هي نسخة محمد أحمد هاشم التي كتبها لنفسه، وليست نسخة منقولة عنها.

وليس يعرف مما يذكره الناسخ أو من دراسة نصوص الكتاب فيما إذا كانت نسخته مأخوذة عن أصل الكتاب أو عن نسخة منسوخة منه أو نسخة من النسخ المتفرعة منه. وبحكم أن هذه النسخة هي النسخة الوحيدة فلا مجال لمضاهاة نصوصه لتحري الصواب، من سقط وزيادة أو تعديل في الكلام. ولكن يبدو من تتبع السياق في هذا الكتاب وفي سعادة المستهدي أن الناسخ قد نقل عن مصدر لا يشوبه شيء وأن نقله كان مطابقاً لذلك المصدر. وبمعنى آخر فإننا نعتقد ـ إلى الحد الذي يمكن أن يطلق فيه مثل هذا التقرير ـ أن النص الذي نقدمه نص مطابق لأصل الكتاب.

ويبلغ عدد الصفحات في المخطوط ١٨٢ صفحة، وهناك صفحة أخرى كتب فيها الناسخ دعاءً لنفسه ثم سجل واقعة النسخ وتاريخه. وصفحات المخطوط مرقمة ومعقبة معاً. وتبلغ مسطرتها على اطراد ١٤ سطراً. والكتابة فيها بغير شكل، ولكن بنفس واحدة وبقلم واحد وبخط واحد ما عدا التعقيب وكلمتين في آخر صفحة ٩٤ وصفحة ٩٥ كاملة والسطور الثلاثة الأولى في صفحة ٩٦، فهذا الجانب مكتوب بخط يد آخر وهو ما يقع بين قوله «ثم شرع في الاستعداد لحرب الحبشة وأمر بوضع زريبة في غاية المتانة» وقوله: «قلت فكل من عمل بهذا العمل الصالح اعني محبة الله ورسوله محبة صادقة» في الفصل الثاني من الباب الثاني.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى خطبة ومقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، ثم جعل لكل باب مقدمة. أما في الخطبة فإنه يذكر الحمدلة والصلوات ثم دواعي تأليف الكتاب والهدف الذي يرمي إليه، ثم يبين أجزاء الكتاب وموضوعاتها.

وفي المقدمة يعالج وضع الخليفة عبدالله. وسبيله في ذلك أولاً أن ينقل طرفاً مما كتبه المهدي عنه وعن مكانته. وهو في ذلك يختار فقرات من رسالة المهدي عن مكانة الخليفة والتي تبدأ بقوله: «إن الخليفة عبدالله خليفة الصديق». ومن رسالته إلى آدم عمر عامل المهدي بجبال تقلى ومن رسالتيه إلى فخر الدين حسن المعلاوي ومن رسالته إلى محمود عبد القادر عامل

المهدي في كردفان. وثانياً أن يروي طرفاً من أخباره وجملة من فضائله، ولكن المؤلف يبالغ في هذا الجانب ويذهب مذهباً بعيداً.

على أن الصورة التي يرسمها المؤلف للخليفة عبدالله وإن ابتعدت عن واقع الشخص المقصود أو واقع أي شخص آخر هي الصورة التي كان ينشدها مجتمع المؤلف في الرجل الرشيد.

أما الباب الأول ففي ولاية يونس الدكيم على القلابات، وهو مقسم إلى خمسة فصول. وقد تكلم المؤلف في الفصل الأول عن مشروعية الحرب التي شنها الخليفة عبدالله على الحبشة من وجهة نظر الإسلام إزاء الحديث المشهور: «اتركوا الحبشة ما تركوكم» وهو يذهب إلى أن محاربتها جائزة إذا وقع التعدي من قبلها على أرض الإسلام ثم يذهب ليثبت من واقع الوثائق أن هناك تعدياً من قبلها على الإسلام وحدوده في السودان.

ثم يروي طرفاً من الحوادث التي وقعت في القلابات ابتداء من تولية محمد أرباب حتى قدوم يونس الدكيم.

وفي الفصل الثاني يذكر سرية علي جيبر إلى جبل غورة. وفي الفصل الثالث يذكر سرية عربي دفع الله إلى دبر سينه. وفي الفصل الرابع يذكر قدبي والقبض على يحيى ولد الوكيل. وفي الفصل الخامس يذكر أمر السرية التي أرسلت إلى غبتة للقبض على عجيل عوض الحمراني.

ولكن هذه الوقائع لم تقع بهذا الترتيب، كما أن بعضها لم تكن بقيادة من يذكرهم المؤلف. فسرية قدبي، وقد وقعت في أول مايو ١٨٨٧، كانت بقيادة الياس علي كنونه. وسرية جبل غورة كانت في ١٥ مايو ١٨٨٧ وكانت بقيادة علي جيبر. وسرية غبتة كانت في ٢١ مايو ١٨٨٧ وقد خرجت بقيادة هنون النيل. وقد تفادى المؤلف ذكر اسمه. وسرية دبر سينة، وقد وقعت في ١٣ يونيه ١٨٨٧، كانت بقيادة هنون النيل وليست بقيادة عربي دفع الله كما يذكر المؤلف.

ويبدو لنا أن المؤلف قد اغفل ذكر هنون النيل عند الكلام عن سرية

غبتة واستبدله بعربي دفع الله عند الكلام عن سرية دبر سينـة، لأن هنون كان ممن آمن بدعوة محمد آدم الذي ادعى نبوة عيسى وخلق بلبلة عظيمة في رباط القلابات مما استدعى اعدامه واعدام جملة من المؤمنين به، وكان من ضمن هؤلاء هنون النيل. (أنظر في ذلك منشورات المهدية للدكتور محمد ابراهيم أبو سليم صفحة ١٠٢ والحركة الفكرية في المهدية لنفس المؤلف صفحة ٢٣).

ولم تكن هذه الحملات حملات حربية بالدرجة التي تسمى سرايا بل كانت مجرد غارات عبر الحدود ولم يكن لها أثر كبير على الوضع. ولكن المؤلف يصورها بطريقة مبالغة حتى يخلق منها انتصارات حقيقية، أو هو في الواقع ينقل صورة لما كان يروى عن هذه الوقائع في مجتمعات أم درمان.

ثم إننا نلاحظ في موضوع هذا الفصل انه لم يشر إلى دعوة محمد آدم الذي ادعى أنه نبي الله عيسى وما كان من قصته وقصة أتباعه حتى كان مقدم حمدان وضبطهم واعدامهم. وقد أخذ يونس في شأنه وعوتب. وكان لحركته تأثير بالغ في أم درمان لارتباط ظهور النبي عيسى بظهـور المهدي. ولذلك انصرف الخليفة إلى كتابة المنشورات ليبطل دعوى محمد آدم.

وفي نـظرنا إن المؤلف تفـادى الإشارة إلى هـذا الموضـوع لحسـاسيتـه المفرطة.

ثم إنه لا يشير إلى الخلاف بين حمـدان وبين يـونس واحتكامهما إلى الخليفة وما كان لهذا الخلاف من أثر في رباط القلابات بل انه سلك إزاءهما مسلكاً واحداً هو المدح المفرط والغلو في وصف شجاعة القائدين ومقدرة كل منهما.

وفي الباب الثاني يعالج ولاية حمدان. وقد بدأه بمقدمة طويلة ذكر فيها خبر ارسال حمدان وتوقفه في الطريق ريثما يستجمع بعض القوات التي كانت تعمل في قمع ثـورة أبي روف ثم مسيره حتى بلغ القـلابات وأقـام لقواتـه معسكراً بمعزل عن معسكر قوات يونس.

ويأتي بعد ذلك الكلام عن حروبات حمدان في فصلين.

وفي الباب الثالث يذكر ولاية الزاكي طمل، ويأتي في هذا الباب وصف معركة القلابات التاريخية. وقد ذكرنا في هامش هذا الباب تعليقنا على روايته، فلا نعيد ذكره هنا.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة، وهي تتعرض إلى الوقائع التي وقعت في عهد الخليفة عبدالله في المناطق الأخرى: تعرض أولاً إلى ولاية عثمان آدم على دار فور وانتصاره على يوسف ابراهيم ثم ذكر خبر أبي جميزة وأخيه ساغة من بعده. ثم جاء بعد ذلك الكلام عن سرية الرجاف ثم عن وقائع عثمان دقنة في الشرق ثم عن حملة النجومي على مصر.

تقويم:

يتضح من الوصف السابق أن الكتاب يتكون من ثلاثة عناصر واضحة: أولها المقدمة وهي عن الخليفة عبدالله ومرتبته وعظمته وصفاته، أي عن الشخص الذي تمت على يديه الانتصارات التي يتكلم عنها الكتاب. وقد اقتصر الكلام عليه إلى الحد الذي لا يذكر فيه المهدي وحروباته كلية، وإن كان للمؤلف أن يحتج بكتابه الآخر الذي خصصه لسيرة المهدي.

وثانيها وقائع القلابات، وقد جعل لكل عامل وعهده بابا ثم قسم كل عهد إلى أقسام وجعل لكل منها فصلاً. ورغم أن اسم الكتاب قد يوحي بأن موضوعه هو واقعة القلابات الأخيرة والتي قتل فيها الامبراطور يوحنا، بحيث يكون فيها صلب الكلام ويكون ما عداها مقدمة أو تكميلاً للصورة، فإن هذه الواقعة لا تأخذ حيزاً متميزاً، بل إن كل الوقائع والحوادث المتصلة بالصراع بين الحبشة والمهدية في منطقة القلابات تأخذ نفس الأهمية وتأتي بمقدار المادة المتوفرة عنها ومقدار ما بذل فيها. وعلى ذلك فإن هذه الوقائع تعتبر عند المؤلف موضوعاً واحداً وهو انتصار جيش الخليفة عبدالله بقياداته المتعاقبة على قوات الامبراطور.

وثالثها الكلام عن الوقائع التي وقعت في عهد الخليفة عبدالله في المناطق الأخرى حتى اعداد الكتاب.

ولو نظر المرء إلى هذا التكوين للكتاب والأسلوب الذي اتبعه المؤلف في معالجة الحوادث والموضوعات لوضح له أن هدفه من الكتابة ليس سرد الوقائع التاريخية، وهذا هو الفيصل الكبير بين هذا الكتاب وكتاب السيرة الذي سبقه. ذلك لأنه لا يسترسل في سرد الحوادث وإنما يحاول استخراج النقط الباهرة والتفاصيل التي تبين سطوة المهدية وما تلقاه من عون إلٰهي يجعل القلة تنتصر على الكثرة. ويجعل الطبيعة، كالجبال والمياه والنار التي تحرق الأجساد وما إلى ذلك مما يضمنه المؤلف في الروايات والمشاهد التي يرويها، في صف انصار الدعوة. بل ان المؤلف يعزف عن أسلوب السرد صراحة ويحيل القارئ إلى كتابه الآخر: «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» ليقف فيه على سرد الحوادث. وليس غرض المؤلف واقعة القلابات بعينها، وإنما هو اظهار سطوة المهدية على اعدائها وإثبات أنها منتصرة أبداً وأن راياتها تتقدم منتصرة على الدوام «لأن الله جلت قدرته وعظمت على العباد منته لما تعلقت ارادته بإنجاز ما وعد به على لسان رسوله صلعم من قوله صلعم «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» جعل احراز ذلك والاستيلاء على جميع ما هنالك بالواقعات المهدية. ومن أعظم ذلك ما يسره الله تعالى على يد سيدنا خليفة المهدي عليه السلام النصر المبين والفتح للبلاد والتمكين»[1] فالإطار العام للكتاب هو هذا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق أدام الله أيامه مشرقة بأنوار النصر الذي يتم على يد الخليفة في مختلف الجبهات وإن كان التخصيص على واقعة القلابات باعتبار أنها فتح جديد للإسلام في أرض الحبشة المسيحية. ولذلك يجيء الكلام عن حروبات دار فور والرجاف وشرق السودان وحملة النجومي على مصر على ما بينها وبين القلابات من بعد.

وقد اتبع المؤلف إزاء المواقف والمواضع الحساسة مسلكاً حذراً حتى لا

(١) أنظر صفحة ١.

يوقع نفسه في مواقع الخطر وحتى لا يثير الخواطر بالكلام فيما لا ينبغي الكلام فيه. فهو لا يشير إلى حادث النبي عيسى في القلابات لأن موضوع النبي عيسى يتصل بموضوع المهدي حيث الاعتقاد أن النبي عيسى يظهر بعد المهدي، وعلى ذلك يحتمل أن يكون ظهوره في عصر الخليفة، أو يحتمل أن يعتقد بعض الناس في دعوى هذا المدعي ويؤخذ الخليفة على أنه قاتل هذا النبي.

وهو لا يكاد يذكر اسم المهدي ولا يشير إلى انتصاراته بل هو يجعل كل كلامه قاصراً على الخليفة عبدالله وانتصاراته. إن مثل هذا التصرف لا يمكن دفعه بالقول بأن للمؤلف كتاباً آخر في سيرة المهدي لأن المؤلف يتكلم في هذه السيرة نفسها عن الخليفة عبدالله وفضائله وأفعاله مع أن بعض ما يرويه ليس طرفاً من سيرة المهدي أو الوقائع التي وقعت في حياته. وكان من الممكن أن يشير المؤلف إلى وقائع المهدي وانتصاراته ولو بصورة مقتضبة في مقدمة الطراز خاصة وموضوعه كما أشرنا من قبل هو سطوة المهدية وانتصاراتها ولكنه بدلاً عن ذلك انتقل مباشرة من الحديث الذي يرويه عن الرسول ليدلل به على الاستيلاء على جميع البلدان بالواقعات المهدية[1] إلى الكلام عن انتصارات الخليفة.

ثم انه يضيف إلى ذلك كلاماً طويلاً عن خلافة الخليفة عبدالله ومساندتها ويؤيدها بالنصوص التي ينقلها من منشورات المهدي وبالمزايا والفضائل التي يرويها هو من مشاهداته الخاصة ومما ينقله عن الآخرين فإذا اضفنا إلى ذلك أنه يتعرض إلى الاشراف وحركتهم الأولى بطرف خفي عند كلامه عن صفوف الصلاة والوقوف عند إشارة الخليفة لاتضح لنا مرد ما نبحث عنه. ذلك لأن موقف المؤلف هذا نابع من النزاع الذي كان قائماً بين الخليفة عبدالله وبين الاشراف ومحاولته ابعاد نفسه من شره.

إن هذا الموقف السياسي الذي يقفه المؤلف يدفعه إلى بيان فضائل الخليفة عبدالله ومزاياه الشخصية ومساندة خلافته وتأكيد شرعية هذه الخلافة

(١) المرجع نفسه.

وأحقية الخليفة بها، ولذلك كان تعظيمه للخليفة والتغالي في مدحه وتفاديه الكلام عن المهدي وعن انتصاراته، حيث إن انتصارات المهدي قد تم أغلبها على يد قادة الاشراف أو من يكونون في صفهم، ولأن الكلام عن المهدي والتركيز عليه قد يقوي مركز الاشراف أو قد يفسر بأنه موقف يقفه المؤلف إزاء الخليفة.

وعندما يتكلم عن الوقائع التي وقعت في ولاية يونس الدكيم يتفادى ذكر هنون النيل بالكيفية التي رويناها مع أنه قاد حملتين، والسبب في ذلك أنه اتبع دعوة عيسى القلابات. ثم أنظر كيف يعالج كيفية اختيار الزاكي بعد وفاة حمدان وكيف يشير إليه دون أن يثير أحداً. وهو يتكلم كثيراً عن حروبات أبي جميزة ويظهر من خلالها قوة جيش الأنصار ويشيد بنصره، ومرد ذلك أن حركة أبي جميزة كانت قد أثارت خواطر الناس وملأت الاشاعات عن انتصاراته الجو وبات المشفقون في خوف منها.

ثم انه لا يتكلم عن حركة الاشراف ولا يروي ما حصل منهم وما اتخذه الخليفة عبدالله ازاءهم لأن موضوعهم موضوع حساس ويثير الخواطر ويخشى على المرء إن خاض فيه. ولكيلا يعد سكوته مناصرة للاشراف وحتى لا يتهم في عواطفه أشار المؤلف إليهم بطريق خفي متخذاً صفوف الصلاة والالتزام بها للدلالة على الالتزام بالولاء للخليفة عبدالله.

وهو يركز الكلام على القادة الذين تولوا الحرب في الجبهة ويغالي في مدحهم لأنهم رجال الخليفة وقادته وعضده. وقد تفادى أن يذكر شيئاً عن نزاع حمدان ويونس وما أخذ على يونس فيه حتى لا يمس قائداً يرضى عنه الخليفة وحتى لا يمس عصبية التعايشة ومن هم في قرابة الخليفة. ولما كان لقاضي الإسلام أحمد علي مركز مرموق في هذه العصبية وفي بطانة الخليفة وكان رئيس المؤلف في سلك القضاء وهيئة العلماء فإنه يذكر اسمه في عدة مواضع ويسند إليه بعض الأخبار. وهو الوحيد الذي يذكره باسمه من أعيان المهدية إذا استثنينا الخليفة وقادة الوقائع في الجبهات.

وعندما يتعرض إلى الوقائع يتفادى المواضع التي ينهزم فيها الأنصار.

فالكتاب على هذا الوجه ليس كتاباً يهدف إلى التاريخ لهذه الواقعة أو تلك أو لحروبات المهدية، وإنما هو كتاب يتناول انتصارات المهدية في عهد الخليفة، وهو على ذلك أقرب إلى مقالات السياسة أو الكتب التي تصدرها الدوائر المختصة عن موقف سياسي أو واقعة سياسية أو عسكرية بغرض التمجيد والمساندة.

ولذلك كان وصف المؤلف مهمته في خطبة الكتاب بأنها «جمع رسالة تتعلق بحرب الحبشة متكفلة ببيان وقعة النقس» وصفاً قريباً إلى الواقع من حيث أن كتابه ليس تأريخاً وإنما رسالة تتعلق بتلك الحرب أي لبيانها وبيان أبعادها وما يدور حولها من قضايا وما وقع فيها من أمجاد.

ومن هنا فإن الدور الذي يؤديه هذا الكتاب مربوط بمحاولات الخليفة عبدالله في السنوات الأولى من حكمه لتدعيم موقفه عن طريق طبع منشورات المهدي وجمع آثاره[1] والدفاع عن مقامه ومكانته واحقيته بالخلافة ازاء منازعة الاشراف وإزاء الثوار والمناهضين في أقاليم السودان بكونه الرجل الحق الذي يواصل رسالة المهدي.

وقد كتب المؤلف كتابه، بأسلوب عربي رصين يخلو من الألفاظ الدارجة خلواً تاماً. بل هو يحاول أن يضع حتى الاسماء الأعجمية في لسان عربي وأن يلتزم برفع الأسماء ونصبها وجرها حسب أوضاعها النحوية فيقول مثلاً: «إلى حمدان أبي عنجة. و «جاء حمدان أبو عنجة». وليس هذا بمستغرب من رجل تعلم في الأزهر وعرف بين أترابه بالتفوق وشارك في المسابقات الأدبية ونال الجوائز عن شعره.

وهو يهتم باللغة اهتماماً بالغاً وبالتأنق اللفظي والسجع واستعمال المترادفات واللعب بالألفاظ، ومن ذلك قوله:

- فيا له من فتح فتحت به أبواب السما وحاز الزاكي به جميل الذكر وجزيل الأجر وسما.

(١) الحركة الفكرية في المهدية للدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ص ١٤٨ - ١٥٢.

- وابتسم لها ثغر الثغور وتقلد بعقود جواهر أخبارها عاطل جيد الأيام.
- الفتوحات الإسلامية الفخيمة التي يجب نشرها ليعم الخافقين نشرها.
- اعلم يا من أشرقت شموس التسليم في سماء بصيرته واينعت أزهار التصديق في رياض سريرته.
- أضاعوا الثغور للانهماك في لثم الشفاه والثغور.

والبناء الفني للكتاب متكامل، ذلك لأننا نعهد انتصار الإسلام على المسيحية في أرض الحبشة وسطوة المهدية على كل خارج عليها في كل سطر من سطور الكتاب، يبدأ ذلك بالافتتاح: «الحمد لله معلي الحق ومعلنه وموهي الكفر وموهنه، فاتح الفتوحات ورافع الدرجات» ويمضي المؤلف يتغنى بالنصر ويهلل حتى يختم الكتاب بقوله: «وبالجملة فلوائح النصر وحصول الظفر والفتح بادية كفلق الصبح، وعن قريب تحيط جيوش المهدية بمصر احاطة القلائد بالجيد ويذلون عزيزها بعزة ذي العرش المجيد فتتوالى البشائر بالفتح تترى، فالحمدلله على ذلك سراً وجهرا».

ثم أنظر كيف يصور حملة حمدان: «بلغ من أرض الحبشة محلا لم تبلغه في الجيوش الإسلامية راية ولم تتل به قط سورة ولا آية، منتقماً لله تعالى ممن جحد توحيده ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى خده وريده».

وأنظر: «وفرحوا بذلك النصر الذي يكون طرازاً على اعلام الجيوش الإسلامية على ممر الاعصار» ثم «هنيئاً للمسلمين بالنصر وما أولى هذا اليوم بأن يتخذ عيداً وأن يسطر في جبين الدهر تاريخاً جديداً إذ لم يبلغنا على كثرة التواريخ وكتب سير الأقدمين والذين دونوا في الملاحم جاهلية وإسلاماً في أمر الحبشة أنه حصل لهم ما يقارب هذا فضلاً عما يماثله».

وسبيله في التفخيم طريف. فهو يمجد العدو ويعلو به، بمثل ما فعل بالراس الولا حيث روى وقائعه مع المصريين والايطاليين ورفع من شأنه إلى درجة بعيدة، ثم يعود ليظهر كيف انهزم أمام الأنصار. وهو يضخم قوة العدو ويضاعف عددهم بطريقة غير محدودة ويصف المعارك بألفاظ قوية ويصورها

تصويراً أدبياً رائعاً ثم ينتهي إلى الانتصار، وهو عادة يأتي بسرعة لأن الأنصار يتلقون العون الإلٰهي!

ولكن يؤخذ عليه الاغراق في المبالغة وتسليمه للخرافة بغرض الهوى. أنظر: مبالغته في وصف تواضع الخليفة عبدالله حتى أنه «يخدم الأخوان بنفسه ويقوم في قضاء حوائجهم سفراً وحضراً حتى أنهم يرسلونه لجلب الحشيش لعلف دوابهم والحطب لوقودهم فيذهب لذلك بنفسه ويحمله ويحضره لهم. ويرسلونه لتحصيل الماء لهم للشرب والوضوء وغير ذلك.. ويلزم المريض والمريض على الدابة وخليفة المهدي ماش برجليه ويد المريض على كتفه رضي الله عنه مستمسكاً به مخافة السقوط على الأرض لإنحلال قواه بالمرض».

وانظر كيف يقحم معنى بيت شعر اقحاماً (١٢٨) ثم يستشهد بنفس البيت ثم انه يؤلف مشهداً حيث يقول: وقد أخبرني من اثق به أن الزاكي طمل لما نظر إلى الخيمة المذكورة وهم في حالة الحرب أقسم بالله أنه لابد من وصوله للخيمة المذكورة أو يقتل دونها وقد اصطلى بنار الحرب إلى أن وصل إلى تلك الخيمة وأخذها. وانظر «وقد عاد الأنصار إلى رباط القلابات ومعهم من الغنائم ما تعجز عن احصائه أنامل الكتاب وتكل عن تعداده أفهام الحساب». ثم ارجع إلى ما يقوله حيث يسوق رواية عن نصيحة الراس عدال لكي يكف يوحنا عن الأنصار «فلا تعجبك كثرة جيشك فإنهم لن يثبتوا لحرب الأنصار».

وإليك رواية أخرى: «ولما أرهق الاعداء الفارين الطلب وخافوا من الدمار بأيدي الأنصار والعطب صاروا يلوذون من القتل بالاستتار بالاجحار ورضوا لحب السلامة من القتل أن يلتحقوا بعالم الغار فتراهم وهم في حالة الفرار إذ لاح لهم جحر ولو جحر ضب جنحوا للاستتار به. وهيهات. فإن الأنصار في أثرهم يخرجونهم من الأجحار ويقتلونهم فرداً بعد فرد وصار بعضهم يختفي في مكامن الشجر فمن ظفروا به منهم قتلوه ومن لم يظفروا به منهم سلم وهو قليل ما هم حتى أن بعضهم لما لم يجد سبيلاً إلى الخلاص وخشي أن يقع في حبال الاقتناص تحول قرداً وبعضهم ذئباً وبعضهم تحول في

صورة الأرانب والغزلان وغير ذلك من أطوار الحيوانات ليتخلص بذلك من القتل. وهيهات».

ونختم مبالغات المؤلف بما يذكره عن جامع الخليفة بأم درمان: «ومن كراماته رضى الله عنه الباهرة ومعالمه الزاهرة الادمان والملازمة الكلية على صلاة الجماعة في المسجد الذي تشد إليه الرحال وتضرب به الأمثال، فإنه لم يعهد مثلها في سائر الاقطار ولم ينقل إلينا ما يماثلها في سائر الامصار. وقد أطبق الناس على أنه لم يعهد ما يماثل ذلك على تنائي البلدان ومرور الأزمان. وما وصل أحد من سائر الأقطار النائية إلى مدينة المهدي عليه السلام ورأى المسجد المذكور وما عليه من الرونق والأنوار وملازمة العبادات المتنوعة من صلاة وتهليل وتسبيح وتقديس وتلاوة قرآن وغير ذلك آناء الليل وأطراف النهار إلا وكلهم قطع بأنه لم ير لذلك شبهاً ولا مثلاً. والأخبار عما ذكرناه متسعة جداً والأدلة عليه لا يحيط بها القول حداً. وقد بسطنا القول في المسجد المذكور مع بيان مقدار مساحته بالذراع في كتابنا سعادة المستهدي».

مصادر المؤلف:

أن أول مصدر اعتمد عليه المؤلف هو كتابه الآخر: سعادة المستهدي، والذي فرغ من تأليفه قبيل هذا بشهور. وقد أشار إلى هذا الكتاب مراراً وأحال القارئ إليه.

ثم إنه اعتمد على بعض مجلدات من المنشورات المطبوعة بمطبعة الحجر. فهو ينقل منشور المهدي عن مقام الخليفة عبدالله والذي يجيء نصه في الجزء الأول من المنشورات المطبوعة وعدد من الكتيبات. وهو ينقل أيضاً طرفاً من كلام المهدي عن الخليفة عبدالله في رسائله إلى فخر الدين حسن وآدم عمر وعامله على كردفان. وقد طبعت هذه الرسائل مجتمعة في كتيب صغير، ولا شك عندنا أنه وقف على هذا الكتيب ونقل عنه[1].

(١) أنظر هذه الكتيبات في القسم الثامن من مجموعة المهدية بدار الوثائق المركزية.

كذلك ينقل المؤلف بعض المحررات الأخرى التي طبعت بمطبعة الحجر، ولا شك عندنا أنه وقف على هذه المطبوعات.

وقد استعار المؤلف وصف الصلاة ليدل به على الوحدة والالتزام بقيادة الخليفة عبدالله بمثل ما يلتزم به المأموم خلف الإمام، وهو نفس الاستعارة الواردة في منشور الخليفة عبدالله حيث يقول: «ثم قال لي الخضر عليه السلام إن المهدي أخبرني بأن أخبرك أن تبشر الأصحاب بأن الذين لازموا الصفوف الثمانية من ابتداهن إلى الآن ومحبين في الله ورسوله والمهدي وفيكم أنهم مضمونين وأنك كلما تأمر بمقر صف ويلازموا عليه الأخوان يلحق بهؤلاء الصفوف».

وهو منشور مشهور، وهذا القول يمس موضوعاً كان يهز مجتمع الأنصار هزاً وهو النزاع بين الاشراف والخليفة والذي كان يعيشه المؤلف بصفته قاضياً وعالماً.

يمكننا إذاً أن نعتبر هذا المنشور أحد مصادر الكتاب وقد اعتمد المؤلف ـ وهذا هو مصدره الرئيسي ـ على ما رواه الرواة الذين حضروا الوقائع وبعض كبار الأنصار. ودائماً يشير المؤلف إلى هؤلاء بقوله الثقات، وقد ذكر منهم بالخصوص قاضي الإسلام أحمد علي.

ومع أن المصادر الأصلية لهذه الوقائع وهي المحررات المتبادلة بين الخليفه عبدالله وبين قادته العاملين في القلابات كانت بالقرب منه فإن المؤلف لم يعتمد عليها بالقدر اللازم، بل لعل الأخذ عن الرواة الذين شاهدوا الوقائع كان السبيل الأمثل في نظر المؤلف وأترابه.

ولاعتماده على الرواية نجد تجاوزاً في بعض المواضع بحيث يطول أو يقصر حسبما يتوفر عنده من معلومات، نجد أحياناً تفاصيل دقيقة عن موضع بينما نجد شحاً في موضوع أهم منه. ومرد ذلك أنه يروي بمقدار ما جمع وبالكيفية التي وقف عليها ومثل هذا معهود في كل مؤلف يعتمد على السماع وما يرويه المشاهدون مما حفظته الذاكرة، وهو بخلاف ما تصوره الوثائق

والمصادر المكتوبة، إذ إنها تعين المؤلف على الموازنة بين المواقف والحقائق وتجعل الصورة قريبة إلى حقيقتها.

أسلوب التحقيق:

لقد اعتمدنا على النسخة الوحيدة التي بقيت من نسخ الكتاب واوردنا نصها كما هو، ولم يتيسر لنا ـ بالطبع ـ أن نضاهي هذا النص أو أن نقارنه بنص آخر اللهم إلا في المواضع التي ينقل فيها نصوصاً معروفة كمنشورات المهدي ورسائل الخليفة، ففي هذه الحالة رجعنا إلى النصوص المتوفرة بدار الوثائق المركزية وأجرينا المقارنة.

ولما لم يكن هناك مجال للتحقيق على أساس الموازنة بين القراءات كما هو الشأن عندما تتوفر النسخ لمخطوط ما فإننا اتجهنا في تحقيقنا إلى التحقق من السياق بحيث ندرك التحريف أو السقط أو الزيادة أو التحوير من مجرى الكلام، ثم إلى تحقيق مادة الكتاب بأن نرجع إزاء الحوادث والوقائع التي يذكرها إلى المصادر الأخرى. وبأن نحتكم إلى الأسلوب الذي يتبعه المؤلف في هذا الكتاب وكتابه الآخر.

ولقد تبين لنا من دراسة النص على هذا المنوال أن النص الذي وقفنا عليه نص لا يشوبه شيء.

وقد اتبعنا نفس الرسم الاملائي الذي اتبعه المؤلف ولم نجر تعديلاً إلا في الهمزات والألف الممدودة حيث جعلناها على الهيئة المعهودة الآن.

ثم إن المؤلف يسير على نهج جيله فلا يقسم كلامه ولا يجعل له الفواصل، وقد عدلنا عن نهجه هذا فقسمنا الكلام إلى فقرات، والفقرات إلى جمل، ووضعنا له الفواصل ورتبنا بها كلامه على النهج المعروف الآن.

ولقد اعتمدنا في رسم اسماء البلدان والاعلام نفس الرسم الذي اتبعه المؤلف ثم بينا في الهامش إن كانت لها أوجه أخرى مع بيان العلة في ذلك. ومثال ذلك (عدال)، فإنه يكتب في غير مصادر المهدية (عدار)، و (دنبيا)

بدل (دمبيا) وهو تعريب للاسم. ومثله (ام بشارة) بدل (أم بجارة). وقد عرفنا ببعض الاعلام، وكان سبيلنا في ذلك أن نعرف بالمهمين ممن لهم صلة بحوادث منطقة القضارف ـ القلابات، أما الشخصيات الثانوية أو من ترد اسماؤهم في الخاتمة فقد اغفلنا التعريف بهم. وإننا نحيل القارئ إزاءهم إلى موسوعة رتشارد هل للشخصيات السودانية وموسوعة الشيخ محمد عبد الرحيم التي نأمل أن ترى النور قريباً. وينبغي أن نسجل أننا قد اعتمدنا في أغلب ما رويناه من التراجم على هاتين الموسوعتين وعلى ما جاء في آخر كتاب (جهاد في سبيل الله) لمحققه عبدالله محمد أحمد. وسيلاحظ القارئ أننا لم نترجم للشخصيات الحبشية مع علمنا بأهمية ذلك بالنسبة للقارئ السوداني على الخصوص، وعذرنا في ذلك أننا لم نجد من المصادر ما يعيننا على ذلك. وليس خافياً عليه أننا اعتمدنا في الهوامش والمقدمة لفظ الحبشة والاحباش مع أن المعهود الآن هو اثيوبيا والاثيوبيون، وقد جرينا على ذلك لأن المؤلف يستعمل الوجه الأول والذي كان معهوداً في زمنه، ولم نشأ أن نثبت في المقدمة والهوامش وجهاً بينما نثبت في المتن وجهاً آخر حتى لا يقع لبس.

وفي القراءة وضعنا ما بين قوسين كبيرين ما اعتقدناه ساقطاً في نص المخطوط. أما ارقام التعليقات فقد جعلناها بين قوسين مزدوجين صغيرين.

شكر وتقدير:

لقد اعاننا في تحقيق هذا الكتاب وتقديمه بهذه الصورة أناس كثيرون وإننا نعترف لهؤلاء جميعاً بالعرفان. على أننا نود بالخصوص أن نسجل شكرنا لمكتبة كلية الدراسات الشرقية بجامعة درم، إذ أتاحت لنا فرصة الاطلاع على الكتاب وسمحت لنا بتصويره ونشره. كذلك نسدي شكرنا لدار الوثائق المركزية على توفير مصادرها الثرة وإمكاناتها الفنية المتعددة وتعاون موظفيها، ونود أن نذكر من هؤلاء بالخصوص السيد محمد محجوب مالك والاستاذ محمد صالح حسن الذي شارك في نقل النصوص ومراجعة المسودات وأفادنا ببعض

آرائه، والاستاذة خديجة زروق ومحمد أحمد مؤنس الذي تولى طبع مسودات الكتاب.

وفي الختام نرجو أن نكون قد أسدينا لمؤلف هذا الكتاب بعض ما يستحق من عرفان ولكتابه بعض ما يستحق من عناية وأن نكون قد قدمنا للقارئ العربي كتاباً يستحق أن يبعث من عالم الضياع والنسيان.

والله الموفق في كل حال.

أول اغسطس ١٩٧١
محمد ابراهيم أبو سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآلـه مع التسليم
الحمد لله معلي الحق ومعلنه، وموهي الكفر وموهنه، فاتح الفتوحات ورافع الدرجات وميسر الأسباب ومسهل الصعاب، الذي اختار من عباده من اكرمه بتأييد الدين والملة[1]، ونور قلبه بأنوار الهداية، وجعله طرازاً لهـذه الحلة. والصلاة والسلام على سيدنـا محمد الـذي نلجأ إلى ظـل شفاعتـه في اليوم العصيب، ونستنصر بجاهه الرفيع على عبدة الصليب[2]، وعلى آله واصحابه الذين شادوا قواعد الدين، ودمروا بسيوف الحق جيوش الملحدين.

وبعد، فيقول العبد الحقير ذو العجز والتقصير إسماعيل بن عبد القادر: إن الله جلت قدرته وعظمت على العباد منته، لما تعلقت ارادته بإنجاز ما وعد به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها»، جعل احراز ذلك والاستيلاء على جميع ما هنالك بالواقعات المهدية.

ومن اعظم ذلك ما يسره الله تعالى على يد سيدنا خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق[3]، أدام الله أيامه مشرقـة

---

(١) قلنا: الإشارة هنا إلى الإمام المهدي والدين هو الإسلام والملة هي ملة المسلمين. انظر كيف يجعل الحمدلة مرتبطة بموضوع الكتاب وهو النصر والظفر الذي يتم للدين على يد المهدي واتباعه.

(٢) قلنا: يقصد بعبدة الصليب الأحباش على اعتبار أنهم مسيحيـون ولكن هذه زلة قلم لأن المسيحيين لا يعبدون الصليب وإنما يقدسونه ويتخذونه شعاراً.

(٣) قلنا: هو الخليفة عبدالله بن محمد، خليفة المهدي. من قبيلة التعايشة بجنوب غرب دار فور. =

بأنوار النصر المبين والفتح للبلاد والتمكين. ومن أجل تلك الفتوحات واسنى تلك العطيات الظفر بملك الحبشه المدعو يوحنا[1] الشهير بالنقس، وقتله

= ولد في سنة ١٨٤٦ وكان أبوه من «فقرا» المنطقة المعتقد فيهم، وكان له تلاميذ. وقد هاجر أبوه باولاده شرقاً حتى استقر في دار الجمع. وبعد وفاته هناك هاجر ابنه عبدالله إلى الجزيرة والتقى بالمهدي وصار من اخلص مريديه. ولما قامت المهدية لعب فيها دوراً حاسماً حتى عده بعضهم صاحب الفكرة. قاد منذ قدير الراية الزرقاء التي انخرط تحتها أبناء الغرب. وبعد فتح الابيض صار المساعد الأول للمهدي ويده اليمنى باعتباره أمير الجيش وخليفة الخلفاء والنائب عن المهدي. ولما توفي المهدي خلفه في قيادة الدعوة والحكم وواجه في أول عهده اضطرابات قبلية كثيرة انتهت بقمعها بعنف مما ترك مرارة في النفوس. وفي العاصمة نازعه الاشراف وتمردوا عليه فقمع حركتهم وصفى انصارهم من أبناء النيل من جهاز الدولة ومن المناطق ذات الحساسية كالغرب والجزيرة. ثم وقعت سلسلة من الصراعات الداخلية وذهب ضحيتها عدد من كبار القادة وذوي المناصب العليا. ارغم اقرباءه البقارة على الهجرة إلى ام درمان وجعلهم عضده واتخذ منهم عصيا يخضع بها الآخرين، ووقعت في عهده المجاعة الكبرى. في عهده صارت ام درمان مدينة كبرى وصارت عاصمة الدولة. استطاع أن يفرض سلطانه على البلاد وأن يفرض سلطان المهدية عن طريق الأعوان والأوامر ولكنه فقد كثيراً من القبائل والمناطق نتيجة لسياسة القوة التي سار عليها أو نتيجة لاضطراب الأحوال. واجه ضغطاً خارجياً عنيفاً امتد طوال عهده: الحبشة والايطاليون في الشرق، والإنجليز والمصريون من الشمال والشمال الشرقي، الفرنسيون وسلاطين حوض تشاد من الغرب، الإنجليز من الجنوب والبلجيكيون من الجنوب الغربي. وفي النهاية سقطت دولة المهدية في معركة كرري الحاسمة في سبتمبر ١٨٩٨ وسقط الخليفة نفسه في واقعة ام دبيكرات في العام التالي... ذكر المؤلف لقبين من القابه وهما خليفة المهدي وخليفة الصديق. والأول هو لقبه الوظيفي والذي بمقتضاه يتولى قيادة الدعوة والدولة معاً. أما خليفة الصديق فلقب مرتبي بجعله خليفة لخليفة الرسول الأول أبي بكر الصديق ومن ثم يجعله الرجل الثاني بعد المهدي في كل شئون المهدية. انظر انه يقول «سيدنا» وهو لفظ شائع يستعمله طلبة القرآن لاستاذهم ويستعمله المريدون لرجال الطرق، ثم يدعو له بقوله «عليه السلام»، والدعاء بالسلام عند غير الأنصار وقف على الأنبياء.

(١) قلنا: هو يوحنا أو يوهانس الرابع امبراطور الحبشة ويعرف أيضاً بجون، وكان يدعى أيضاً في أول عمره أبا بزبز، وهو من قبيلة التقرى إحدى قبائل اثيوبيا الكبرى. ولد في سنة ١٨٣٩ وتولى حكم التقرى في أول عهده وصار يعرف برأس كاسا. وفي سنة ١٨٧٥ صار امبراطوراً للبلاد وواجه مصاعب داخلية وخارجية. استطاع أن يهزم المصريين وأن يوقف زحفهم على الحبشة بين ١٨٧٥و ١٨٧٦. وفي نفس الوقت واجه الامبراطور الضغط الإيطالي المتزايد. وعند قيام المهدية تحسنت علاقاته بالمصريين قليلاً وعقدت اتفاقية بين الطرفين تم بمقتضاها سحب الحاميات المصرية من الجيرة والقلابات عن طريق الحبشة. إلا أن هذه الحركة مع ظروف أخرى جرت عليه عداوة المهديين ووقعت بين البلدين الحوادث التي يرويها المؤلف. وقد قتل الامبراطور نفسه إثر اصابة مميتة أصيب بها في واقعة القلابات في سنة ١٨٨٩ ـ أما لقب النقس فيعني ملك الملوك وقد ابطل استعماله الآن..

وهلاك جيشه ودمار ملكه وانتشار جمعه من سلكه على يد عامل سيدنا خليفة المهدي عليه السلام الزاكي[1] طمل ومن معه من جيوش الأنصار الذين هم برباط القلابات. فيا له من فتح فتحت له أبواب السما وحاز الزاكي به جميل الذكر وجزيل الأجر وسما!

ولما كانت واقعة الحبشة وقتل ملكهم يوحنا من أكبر الفتوحات التي أشرق لها وجه الإسلام وابتسم لها ثغر الثغور وتقلد بعقود جواهر أخبارها عاطل جيد الأيام، إذ لم يسمع بمثلها في الحبشة من سالف الازمان والأعوام، فهو فتح عظم في الإسلام صيته ونصر حمد في الدين مسراه ومبيته، إذ بهذه الوقعة كسرت الصلبان وفجع بدمار الكنائس القسيسون والرهبان واهبطت النواقيس من مراقيها العالية وصروحها المتعالية، وازرى بلسان النواقيس لسان التهليل والتكبير ونطقت ألسن أهل الإسلام بمزيد الحمد والشكر للطيف الخبير، فكانت من الفتوحات الإسلامية الفخيمة التي يجب نشرها ليعم الخافقين نشرها وتكون موعظة بليغة لجميع ملوك الدول وعبرة لأهل الترف الرافلين في أثواب العظمة واللابسين من الترفع والخيلاء تلك الحلل، لعل الله يهديهم للدخول في الدين المستقيم، ويأخذ بنواصيهم إليه ما فيه صلاحهم وهدايتهم إلى طريق النجاة من الهلاك الدنيوي والاخروي بالانقياد والتسليم، دعاني[2] داعي الفلاح ولمعت لبصيرتي بوارق أهل العناية الذين استبان لهم طريق بيان الحق ولاح مع ما استنار به الفؤاد من الإشارة المقرونة باليمن والسعادة الموصلة إلى رضوان الله من أمر منهج أهل التسليم وارادة لجمع رسالة تتعلق بحرب الحبشة، متكفلة ببيان وقعة النقس يوحنا التي افضت به إلى الهلاك والدمار وبملكه إلى الخراب والبوار، فبادرت لاحراز هذا الفضل

(١) قلنا: هو أمير الأمراء الزاكي طمل، من مواليد التعايشة. قاد الأنصار في دار فور واشترك في وقائع الجبهة الشرقية تحت قيادة حمدان أبي عنجة. وبعد وفاة حمدان عين مكانه أميراً على القلابات، وبعد تعيينه بقليل اشترك على رأس قواته في معركة القلابات وانتصر على الاحباش وقتل الملك يوحنا. حارب بعد ذلك الشلك، ثم وشى به الوشاة فقبض عليه وسجن ومات جوعاً وعطشاً في سنة ١٨٩٢م وهو مدفون قرب بوابة عبد القيوم بام درمان.

(٢) قلنا: هذه إشارة صريحة إلى أن المؤلف وضع كتابه بتكليف من الخليفة عبدالله.

الجسيم والخير الذي اختص بـه أهل التسليم، وسميتهـا «الطراز المنقـوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش».

وقد رتبتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

فالمقدمة في بيان ما ورد عن المهدي عليه السلام من الأخبار النبويـة والبشائر المصطفوية والفضائل الجلية والكمالات التي هي اشرف مزية في حق خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق وما يتبع ذلك من ذكر نبذة من احواله السنية ومزاياه الطاهرة الزكية.

الباب الأول في بيان سرية يونس الدكيم(١) إلى ثغر القـلابات وفيـه خمسة فصول.

الباب الثاني في بيان سرية حمدان أبي عنجة(٢) إلى ثغر القلابات، وفيه فصلان.

الباب الثالث في بيان ولاية الزاكي طمل على ثغر القلابات وما أجراه

---

(١) قلنا: هو أمير الأمراء يونس الدكيم، وهو من قبيلة التعايشة وابن عم الخليفة عبدالله. انضم إلى المهدي في قدير في نهاية ١٨٨١ واشترك في حصار الأبيض وفتح الخرطـوم وشارك في اشعال الثورة في دار الرزيقات وهو الذي اعتقل عجيل الجنقاوي. لمع اسمه في عهد الخليفة عبدالله وعهدت إليه ولاية الجزيرة وكلف بقفلها دون الاشراف عندما كان محمد خالد يزحف بجيشه من دار فور إلى الشرق. تولى ولاية القلابات حتى عين حمدان أبو عنجة عاملا عليها عندما تطور النزاع مع الحبشة، وقد رفع يونس عنها لعدم تعاونه مع حمدان. تولى الولاية على دنقلا مرتين وكان مغضوباً عليه عندما بدأ جيش الاحتلال زحفه. اشترك في واقعتي كرري وأم دبيكرات ووقع أسيراً. ونفي إلى مصر. توفي في أم درمان في سنة ١٩٣٦.

(٢) قلنا: هو أمير الأمراء حمدان أبو عنجة. ولد حوالي ١٨٣٥ واشترك في حروبات الزبير باشا والرزيقات والتي انتهت بهزيمة الرزيقات وسقوط سلطنة الفور. انضم إلى حركة المهدي في قدير وخدم في الراية الزرقاء. تولى قيادة الجهادية بعد سقوط الأبيض. وقد لعب دوراً حاسماً في واقعة شيكان. اشترك في قيادة حرب جبل الداير المشهورة وتولى القيادة المباشرة في معركة ام درمان. وبعد فتح الخرطوم أرسل على رأس قوة إلى جبال النوبا وحارب القبائل وقـد استطاع الخليفة أن يستفيد من مركزه فقلل من شأن محمود عبد القادر في الأبيض ثم كلفه بتصفية قوة محمد خالد زقل القادمة من دار فور نحو الشرق فنفذ أمره وأرسله مسجوناً إلى أم درمان وبذلـك تحددت نهايـة قوة الأشراف. تـولى القيادة في الجبهـة الشرقية عـاملاً على القلابات. توفي في سنة ١٨٨٨.

الله جلت قدرته على يده من قتل يوحنا ملك الحبشة وما يتبع ذلك، وفيه فصلان.

الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة، تشتمل على ذكر السرايا التي أرسلها خليفة المهدي عليه السلام إلى الأقطار للدعاية إلى الله والانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام وما يتعلق بذلك.

ومن الله استمد التوفيق والهداية لسلوك مسالك أهل العناية إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

المقدمة

المقدمة: في بيان ما ورد عن المهدي عليه السلام من الأخبار النبوية والبشائر المصطفوية والفضائل الجلية والكمالات التي هي أشرف مزية في حق خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق وما يتبع ذلك من ذكر نبذة من أحواله السنية ومزاياه الطاهرة الزكية.

اعلم، يا من أشرقت شموس التسليم في سماء بصيرته وأينعت أزهار التصديق في رياض سريرته، أن الآثار السلفية وصوادح الأخبار الخلفية قد أطبقت على التنويه بأن الله سبحانه وتعالى قد استوزر للمهدي عليه السلام طائفة قد خبأهم في مكنون غيبه أطلعهم الله كشفاً وشهوداً على الحقائق[1]. وأول السابقين منهم إلى هذه الأفضلية وخيرهم وأحقهم بحوز هذه المزية هو خليفة الصديق بالقاطع البرهاني الوارد عن المهدي عليه السلام في حق خليفته رضي الله عنه. فلذا كتب المهدي عليه السلام عدة منشورات[2] في بيان فضائل سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وما له من الكمالات التي خص بها من بين سائر الانام، تنويهاً بقدره واعلاماً للكافة بما له رضي الله عنه من

---

(١) قلنا: ورد في الأخبار المتعلقة بالمهدي المنتظر أن له وزراء، وقد تكلم محي الدين عربي عنهم، وهم المعاونون الكبار للمهدي. وقد استعمل المهدي لفظ الوزير قليلاً وهو يوازي الخليفة. والمؤلف يشير إلى كبار أعوان المهدي على هذا النحو ويعتبرهم ممن أطلعهم الله على الحقائق كشفاً وشهوداً أي مشاهدة بالعين وكشفاً ببصيرة أهل الكشف. أنظر ما يقوله المهدي إزاء هذا عن الخليفة عبدالله في منشوره الذي ينقله المؤلف فيما يلي.

(٢) قلنا: واجه تعيين الخليفة عبدالله في المرتبة الثانية للمهدي معارضة قوية. وقد كتب المهدي عنه وعن منصبه كثيراً. وقد جمع الخليفة عبدالله هذه المنشورات وطبعها في طبعات مختلفة بمطبعة الحجر بعد وفاة المهدي ليؤكد بها مكانته عنده وليقوي سنده الديني ويوطد مركزه وقد نقل المؤلف المنشورات التي يشير إليها فيما يلي عن هذه المطبوعات.

أعلى المقامات عند مالك أمره. ونحن بتوفيق الله تعالى نتبرك بذكر نبذة من تلك المنشورات وما تضمنته من تلك الآثار التي تنقطع دون كمالها الغايات فنقول:

قد ذكر المهدي عليه السلام في منشوره إلى الكافة من امراء ومشائخ وتجار وعمار وعامة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه يقول لهم:

«إن الخليفة عبدالله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية، فذلك السيد عبدالله بن محمد، حمد الله عاقبته في الدارين.

فحيث علمتم ذلك يا أحبابي ان الخليفة عبدالله هو مني وأنا منه وقد أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا له ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله. فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم والقضاء باشارته. فإن فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك.

واعلموا يقيناً أن قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لمؤمنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قضى اللهُ وَرَسُولُه أمراً أن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فقد ضَلَّ ضَلاَلاً مُبينا﴾[1]. فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الذين بسبب غفلته وذلك بشاهد قوله تعالى: ﴿فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثم لا يَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْليماً﴾[2] ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن اخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي» إلخ الحديث. مع

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

(٢) سورة النساء، آية ٦٥

أنه خليفة الصديق وأول المصدقين في المهدية. فانظروا لمكانة الصديق عند الله بنص القرآن العظيم وانظروا لمن أورثه الله مكان الصديق وأوزره بالباطن بالخضر عليه السلام. فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصرة دينه بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. وقد ورد في فضله كثير. فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان.

واعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم. فلا تتعرضوا عليه فقد حكّمه عليكم بذلك ليطهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا إلى ربكم. ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزما فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله، لأنه خليفة الصديق الـذي قال الله في حقه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[1] وقـال صلى الله عليـه وسلم: «إن آمن الناس عليَّ في الصحبة أبو بكر» وقال أيضاً عليه السلام: «ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر». وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلته الآن لأن أصحابنا كـأصحاب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم.

وهو المذكور خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم. فمن كان منكم مؤمناً بالله واليوم الآخـر ومصدقـاً بمهديتي فليسلم للخليفة عبدالله ظاهراً وباطناً. وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الأبصار بقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام، حكاها الله في كتابـه العزيـز كحكم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والأوهام».

إلى آخر ما ذكره عليه السلام في ذلك المنشور الذي يجب على أهل

---

(١) سورة التوبة، آية ٤٠.

المحبة لجناب سيدنا خليفة المهدي عليه السلام بل وعلى سائر الأنام الاطلاع عليه والعمل بما استقر لديه(١).

وذكر عليه السلام في منشوره الذي كتبه إلى آدم عمر عامل جبال تقلى(٢) ونواحيها يقول له فيه:

«إن الخليفة عبدالله هو خليفة الصديق الذي سبق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٣) بالفضل والعون الذي لا يشركه فيه أحد وخص بمزية(٤) وقرت في قلبه لا يشاركه فيها أحد فلذلك إن الصحابة أكرموه ووقروه واتبعوه وأجلوه ولم يتعدوا مأموراته قيد شبر أبداً. وحيث أن عبدالله هذا هو يدي وعضدي وعوني وعيبة سري، يشهد بذلك الوارد والصادر، وجب على

(١) قلنا: وبقية المنشور كما يلي:
«وإنما انذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم. وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه تنسبوا إليه الظلم والجور فتهلكوا. فاحذروا عن أذية أولياء الله فإنها أذية الله ورسوله. ولقد لعن الله ذلك في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ ورسُولَه لعنهُمُ اللهُ في الدنيا والآخرة﴾ (سورة الاحزاب، آية ٥٧)، كما أن من آذى وليا فقد أذنته بالحرب، فإن الله غيور على أوليائه، فقد علمتم أن من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من أن يؤذي ولياً من أوليائه. وإن الخليفة هو قائد المسلمين وخليفتنا النائب عنا في جميع أمور الدين وأياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال إليه في قوله والمشاجرة له أو لاحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثوب الإيمان، وإني ما حملني على هذا البيان إلا النصيحة في الله وحمايتكم من الوقوع في هاوية الأنفس والأماني. فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلطه عليه.
وهذا بيان أمر الله ورسوله، فيلحذر الذين يخالفون من أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام».

(٢) قلنا: الملك آدم عمر، مك جبال تقلى. كان أبوه عمر ملكاً لتقلى وخلفه عند وفاته أخوه ناصر الذي كان رهيباً، وقد أخذ آدم الملك عنه عنوة بتأييد الناس. وكانت علاقته بالإدارة المصرية علاقة جافة إذ لم يدفع لها الجزية. دخل المهدي دياره أثناء هجرته إلى قدير فحماه من هجوم محمد سعيد باشا مدير كردفان ولكنه اعترض على التبعية له ثم أذعن له وعين ابنه أميراً.
هاجر إلى المهدي في سنة ١٨٨٤ بعد واقعة هكس بناء على طلبه وصحب جيش المهدي في طريقه إلى الخرطوم وهو مرغم، وقد توفي في شبشة في أواخر سنة ١٨٨٤م. أخلص ابنه عمر للمهدية واحتل مكاناً مرموقاً في عهد الخليفة عبدالله.

(٣) قلنا: لا ترد الصلاة على النبي في نص الإنذارات.

(٤) قلنا: هكذا نص المنشور ولكن المؤلف يذكر «بمرتبة» بدل «بمزية» وسياق الكلام على المزية وليس على المرتبة.

جميع أصحابي توقيره واتباعه لأنه راحة بالي. وأيضاً حيث أنه خليفة الصديق وجب على أصحابي أن يعاملوه معاملة الصحابة لصديق النبي صلى الله عليه وسلم» إلى آخر ذلك المنشور[١].

وذكر عليه السلام في منشور له لفخر الدين حسن[٢] يقول له: «إن الخليفة عبدالله جعله ألنبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي بكر الصديق» إلى آخره[٣].

وذكر عليه السلام في منشور له لفخر الدين أيضاً يقول له فيه: «إن الخليفة عبدالله دال لجميع الخلق إلى الله وهو خليفتنا على ذلك» إلى آخره[٤].

وهذا منشوره عليه السلام لعامل كردفان[٥] يقول له فيه: إن الخضر عليه السلام أخبره بأن من لم تكن له محبة في الخليفة عبدالله لا تنفعه ولا تحييه مذاكرة المهدي إلى آخر ما ذكره عليه السلام في ذلك المنشور[٦].

---

(١) انظر المنشور في كتاب الإنذارات ب ص ١٠٧ ـ ١٠٨. وأنظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٢٢٧. وتاريخ الرسالة ربيع آخر ١٣٠١/ ٣٠ يناير ـ ٢٧ فبراير ١٨٨٤.

(٢) قلنا: فخر الدين هذا من قبيلة المعاليا وقد ادعى الخلافة فكتب له المهدي رسالتين معترضاً على ادعائه. وقد كلفه ذلك حياته.

(٣) قلنا: يشير المؤلف إلى قوله: «عبدالله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي بكر الصديق» في رسالته الصادرة في ٢ شوال ١٣٠١/ ٢٦ يوليو ١٨٨٤. انظر منشورات المهدية ص ٧٦ ـ ٧٧ وانظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٣٥١.

(٤) قلنا: الإشارة هنا إلى قوله «إن عبدالله دال لجميع الخلق إلى الله وهو خليفتنا على ذلك» في رسالته الصادرة في ٢ شوال ١٣٠١/ ٢٦ يوليو ١٨٨٤.
انظر منشورات المهدية ص ٧٨ ـ ٧٩ وانظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٣٥٢.

(٥) قلنا: يقصد محمود عبد القادر، قريب المهدي. وكان في أول أمره نائباً عن المهدي في قدير بعد أن توجه المهدي إلى الأبيض وعندما توجه المهدي بقواته إلى الخرطوم تركه عاملاً على كردفان. لم يعمر حتى يرى عواقب نزاع الاشراف والخليفة وقد قتل في ١٨٨٥ على يد الجهادية الذين تمردوا في كردفان وهو يحاول إخضاعهم.

(٦) قلنا يشير المؤلف إلى قوله: «فكذلك قال عليه السلام (يعني الخضر) من لم تكن له محبة في الخليفة عبدالله لا تنفعه ولا تحييه مذاكرة المهدي» في رسالته إلى محمود عبد القادر الصادرة في ٦ جماد آخر ١٣٠٢هـ/ ٢٤ مارس ١٨٨٥. انظر الإنذارات ب ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ وانظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٦٢٣.

وما المعنا بذكره من تلك المنشورات هو من مناقب خليفة المهدي عليه السلام التي تقطع دونها الغايات وخصوصياته التي ليس لكمالها من نهايات.

هذا ولنذكر نبذة من جميل صفاته وأخباره وحميد مزاياه وآثاره ليكون طرازاً لهذه الرسالة وتمغة لمن له محبة في جناب سيدنا خليفة المهدي عليه السلام لتقر بذلك عيونهم وتنشرح لذلك الصدور ويتضاعف لهم بذلك الأجر ويكمل السرور.

فنقول: قد منح الله خليفة المهدي عليه السلام صفات الكمال وكمال الصفات وأفاض على رياض معارفه الإلٰهية غيوث الحكم التي امتاز بها عن سائر البريات مع ما حلاه به مولاه من كمال الزهد والورع والحلم والعفة والتواضع والانكسار والعفو والصفح ولين الجانب والبشر وحسن الخلق والصبر على مقاساة الشدائد في الله وتحمل الأمور الصعاب التي يعجز عن تحملها كمل الرجال.

ولقد كان رضي الله عنه تمر عليه الأيام العديدة ولا يذوق شيئاً من الطعام، صابراً متسلماً لقضاء الملك العلام، حتى أنه في بعض الأوقات تمر عليه نحو الثلاثة شهور ولا يذوق فيها طعاماً إلا ثلاث مرات أو أربعاً، وربما يقتات بالنباتات البرية ويجتزي[1] بثمر شجر الفلوات ويصبر على ذلك الصبر الجميل، ويخدم الأخوان بنفسه ويقوم في قضاء حوائجهم سفراً وحضراً حتى إنهم يرسلونه لجلب الحشيش لعلف دوابهم والحطب لوقودهم، فيذهب لذلك بنفسه ويحمله ويحضره لهم، ويرسلونه لتحصيل الماء لهم للشرب والوضوء وغير ذلك فيحضره لهم، ويقوم على مريض لازمه وباشر خدمته بنفسه في الحل والارتحال، وربما يكون المرضى ويخدمهم بنفسه ويتولى علاجهم ويتعاهدهم ويتفقد أحوالهم ليلاً ونهاراً، وربما يكونون في السفر فيتفقد أحوالهم، فإذا وجد منهم في حالة السير في السفر ويلزم المريض، والمريض على الدابة، وخليفة المهدي عليه السلام ماش برجليه ويد المريض على كتفه رضي الله عنه مستمسكاً به مخافة السقوط على الأرض لانحلال قواه بالمرض وهو محافظ على

(١) قلنا: يجتزى، هكذا في الأصل وما يقصده المؤلف واضح.

المريض بكليته، وربما يمرون بطريق ضيقة بين الأشجار والأوعار فيصيبه رضي الله عنه الشوك وهو على تلك الحالة فيؤذيه، وهو محافظ على المريض وملازم له. وكم في السفر من مشقات على نحو ما ذكرناه وأشد وهو متحمل لجميع ما ذكر وصابر عليه غاية الصبر مع الرضا وانشراح الصدر والنفس، حتى إنه ربما يذهب جميع المسافرين ويتكاملون بمحل النزول وهو رضي الله عنه متأخر مع المريض على نحو ما ذكرناه إلى أن يوصله إلى محل النزول وهكذا. وهذا من علامات السيادة، قال صلى الله عليه وسلم: سيد القوم خادمهم.

ولم يزل هكذا دأبه إلى أن انتقل المهدي عليه السلام إلى دار البقاء. فعند ذلك بايعه الناس بيعة عامة فكشف الله به الغمة ورحم به الأمة. وقد كتب رضي الله عنه المنشورات المشحونة بجميل العظات وبعثها إلى عموم العمال في سائر الجهات وأمر بنشرها في سائر الأقطار يخبرهم بانتقال المهدي عليه السلام[1] إلى دار الكرامة. وبالغ رضي الله عنه في موعظة الناس وتذكيرهم وتثبيتهم بمواعظ وجلت منها القلوب وعلمت دمع العين كيف يصوب. ونشر مثل ذلك في جميع الجهات فآمنت العباد واطمأنت البلاد. وقام بأمر الخلافة ودعا الناس إلى الله والتشمير في احياء الدين وجاهد من أظهر خلافه[2]، وكان بالناس رفيقاً وعلى الأمة شفيقاً.

وأتت إليه الوفود من أقطار الأرض ذات الطول والعرض للبيعة. وبذل نفسه في الله وإلى الله وأقام شعائر الإسلام. وحث على جميع أنواع البر ولا سيما صلاة الجماعة والجهاد لاعلاء كلمة الله. ودعا إلى ذلك جميع الأنام وأيد الدين وقاتل البغاة المارقين وبث السرايا في أقطار الأرض وعم بالعدل طولها والعرض. وبذل عنايته المنورة بأنوار التوفيق في النظر في جميع أمور المهدية

---

(١) قلنا: انظر منشور الخليفة عبدالله عن وفاة المهدي في كتاب «منشورات المهدية» ص ٨١ ـ ٨٣ وانظر أيضاً منشور الخليفة علي الحلو والخليفة محمد شريف وعموم الاشراف والمهاجرين والأنصار عن وفاة المهدي وتخليف الخليفة عبدالله في كتاب منشورات المهدية ص ٨٤ ـ ٨٩.

(٢) قلنا: يشير المؤلف هنا إلى ثورات القبائل التي واجهها الخليفة عبدالله في أول عهده وإلى منازعات الاشراف. انظر نفس الكلام في كتابه الآخر «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» ص ٣٩١.

واتعاب نفسه في ذلك بالغداة والعشية وتفقد جميع أمورها الكلية والجزئية ولا سيما أمور الجهاد والنظر في أحوال الجيوش وما يلزم ذلك، فإنه لم يغفل عن ذلك أصلاً بل جاعل له نصب عينيه، رضي الله عنه، لحياطة الدين وقمع المفسدين.

ولا زال يحرض الأنصار ويصل إليهم بنفسه في أماكن الحصار بالليل والنهار ويذكرهم ويحثهم على الصبر والثبات والصدق في مواطن اللقاء ويحثهم على الصبر على تحمل الشدائد التي تصيبهم في الله من الجوع والعطش والسهر واتعاب النفوس في رضاء الملك القدوس. هذا إذا كان رضي الله عنه حاضراً مع الأنصار في أماكن الجهاد والحصار. ومن كان غائباً عنه من أمراء السرايا في مواطن الجهاد، فإنه رضي الله عنه يكرر لهم المخاطبات ويحثهم على الصبر وتحمل الشدائد وصدق العزم والثبات ويأمرهم بأن يرفعوا إليه جميع الأمور وينهوها إليه أولاً فأولاً بدون إمهال ولا إهمال، ولاسيما أمور الجهاد، ليفيدهم في ذلك بما يوافق الصواب، ليستضيئوا بأنوار آرائه المشرقة بأنوار الحكمة وفصل الخطاب. وهكذا حاله من حياة المهدي عليه السلام إلى يومنا هذا.

ومن كراماته رضي الله عنه الباهرة ومعالمه الزاهرة الادمان والملازمة الكلية على صلاة الجماعة في المسجد[1] الذي تشد إليه الرحال وتضرب به الأمثال، فإنه لم يعهد مثلها في سائر الأقطار ولم ينقل إلينا ما يماثلها في سائر الأمصار. وقد أطبق الناس على انه لم يعهد ما يماثل ذلك على تنائي البلدان ومرور الأزمان. وما وصل أحد من سائر الأقطار النائية إلى مدينة المهدي عليه السلام ورأى المسجد المذكور وما عليه من الرونق والأنوار وملازمة العبادات المتنوعة من صلاة وتهليل وتسبيح وتقديس وتلاوة قرآن وغير ذلك آناء الليل وأطراف النهار إلا وكلهم قطع بأنه لم ير لذلك شبهاً ولا مثلاً.

والأخبار عما ذكرناه متسعة جداً والادلة عليه لا يحيط بها القول حداً.

---

(١) قلنا: يقصد بالمسجد ما هو معروف الآن بجامع الخليفة بأم درمان. وقد أثبت المؤلف أبعاده في كتابه الآخر: سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي. انظر تاريخ هذا المسجد في كتاب «تاريخ الخرطوم» للدكتور محمد ابراهيم أبو سليم.

وقد بسطنا القول في المسجد المذكور مع بيان مقدار مساحته بالذراع في كتابنا «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي»، فليراجع هناك[1].

وناهيك بما أزهرت به رياض هذا المسجد المنور بذكر الله من ملازمة قراءة راتب المهدي عليه السلام فيه صباحاً ومساء بوصفه المخصوص وترتيبه المنصوص وترتيب الناس فيه حلقاً حلقاً في المسجد المذكور مع مزيد الاجتهاد الكلي في ملازمة قراءته وعدم الاخلال بشيء منه حتى أن خليفة المهدي عليه السلام أشار بتعيين عرفاء ونقباء لذلك الراتب يلاحظون أحوال الناس عند قراءته ويحثونهم على اتمامه وعدم الاخلال بشيء منه. وجعل أمر الراتب المذكور والقيام بالنظر في أحواله لأحد الأصحاب ذوي الصدق والديانة وعلو الهمة والتمييز في الدين.

أقول: وهذه غاية لا يحوم حولها إلا المنور بأنوار التوفيق.

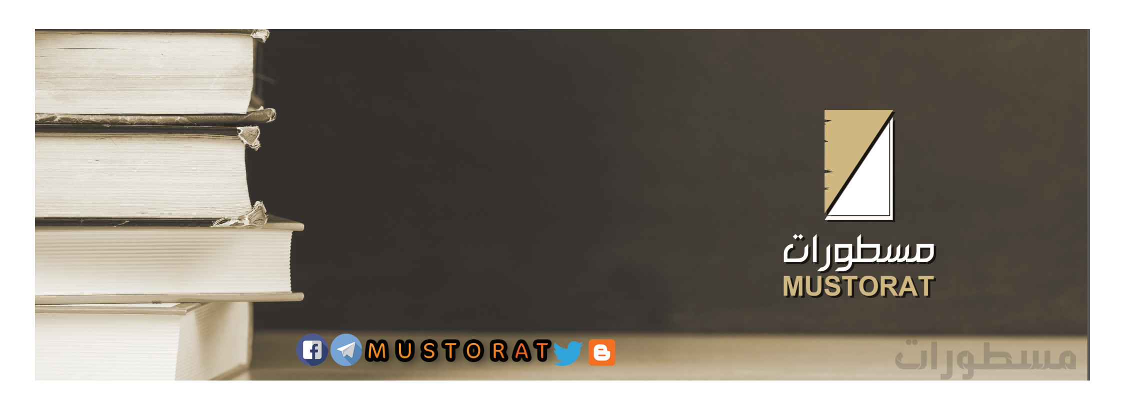
وبالجملة فجميع أوقات سيدنا خليفة المهدي عليه السلام معمورة بطاعة الله عزّ وجلّ على الدوام مع شدة اتعاب بدنه رضي الله عنه في رضاء الله ليلاً ونهاراً سراً واجهاراً. فلا غرو ان الله أعلى أمره وأيد نصره. فإن من دفن نفسه في أرض الإنكسار والتواضع لعظمة الله تعالى والرضا بالمقادير الإلٰهية والصبر على الشدائد وتحمل الأذى والمكاره ينبته الله نباتاً حسناً.

ولنمسك عنان القلم عن السير في هذا الميدان الذي لا يحيط بتفاصيله إلا الملك المنان. وأنى لمثلي في عجزه وتقصيره الاحاطة ببيان شمائله الغرر وفضائله التي تخجل نظيم الدرر. وإنما تكلمنا على هذا النزر اليسير لننتظم في مسلك أهل محبة خليفة المهدي عليه السلام لنفوز بالرضا والقبول ونبلغ بجاهه عند مولاه الرضا والسول، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

(١) قلنا: انظر كتاب «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» ص ٣٨٩ ـ ٣٩٤.

الباب الأول

الباب الأول في بيان سرية يونس الدكيم إلى ثغر القلابات، وفيه خمسة فصول.


مسطورات
MUSTORAT
MUSTORAT
مسطورات

الفصل الأول

الفصل الأول في بيان بعض الموجبات التي دعت إلى ارسال هذه السرية.

اعلم، أن هذه الأمة، أعني أمة الحبشة، من أقدم الأمم الذين ذهب صيتهم في الممالك كل مذهب حتى اشتهرت تلك الأمة بالبأس وكثرة العدد وقوة العدد. فكم لهم في الحروب من بأس شديد ورجال يموجون في بحار من حديد من كل صنديد، لا يرى الموت إلا حتماً من أعظم شأنه ولا يصغي إلا لمحادثة سيفه وسنانه!

قد عرفوا بذلك بين الدول واشتهروا به عند الأواخر والأول إلى أن أنار الله الوجود بظهور أبي القاسم سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، فعمت رسالته صلى الله عليه وسلم سائر البرية على الاطلاق، كما علم ذلك من أخذ الله على الأنبياء وأممهم على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ان أدركوا زمن الميثاق.

ولما أمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بالجهاد، وكانت إذ ذاك طوائف الكفر محيطة بجزيرة العرب التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: لا يبقين دينان بجزيرة العرب، وهي مكة والمدينة وما في حكمهما من أرض الحجاز واليمن، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته ودلهم على ما هو أولى وأهم إذ ذاك من ترك الحبشة والاشتغال بمقاتلة غيرهم في ذلك الزمان، فقال صلى الله عليه وسلم: أتركوا الحبشة ما تركوكم، يعني أنه يجوز لنا أن نترك مقاتلة الحبشة في ذلك الزمان ونشتغل بغيرهم. فغاية ما أفاده الحديث

الشريف أنه يجوز لنا ترك مقاتلتهم، وإذا كان ترك مقاتلتهم جائزاً كان قتال الحبشة جائزاً. وهذا كله مع وقوفهم على حدودهم كما كانوا عليه في أدوار الأزمنة الأول.

ثم ان ملوك أهل الاسم[1] في آخر هذه الأزمان، ولاسيما ملوك الترك[2] لضعف إيمانهم وميلهم إلى الحطام الفاني واخلادهم إلى اللذات واتباعهم للشهوات وتركهم للقيام بشعائر الإسلام واهمالهم لأمر الجهاد الذي أكد الله أمره على لسان سيد الأنام، أضاعوا الثغور للانهماك في لثم الشفاه والثغور، حيث تمكنت الكفار من الدخول في أرض الإسلام وملكوا ضواحيها ووضعوا النواقيس على كنائسهم فيها، ولم يوجد من ملوك الإسلام من له غيرة إسلامية يدفع عن الإسلام وأهله هذا الخطب الجسيم والأمر العظيم[3].

وبأسباب ذلك تمكنت الحبشة من أرض الإسلام حتى امتدت يدهم إلى أرض القلابات وغيرها من أرض الإسلام وملكوها وجعلوا عليها عمالاً من طرف ملكهم الأكبر وألزموا أهالي تلك البلاد بدفع الجزية[4] وسموها القبر[5]. فصاروا يأخذونها عند رأس كل سنة من المسلمين مع الاهانة والصغار.

(١) قلنا: يعني بملوك أهل الاسم ملوك المظهر أي ذوي الصفات الدنيوية، وهم بخلاف الائمة الذين يملكون السلطة الدينية، أي أن المؤلف لا يعترف لحكام المسلمين في ذلك الزمان بالسلطة الشرعية أو بالخلافة الإسلامية.

(٢) قلنا: يستعمل المؤلف لفظ الملوك بما رادف معنى الحكام وليس الملوك بالمعنى الذي يؤخذ عن نظام الملكية. والمقصود بالترك هنا جملة من يحكمون تحت سلطان الخلافة العثمانية ويدخل فيهم كما سيلي خديويو مصر.

(٣) قلنا: يكاد أن يكون هذا إحساس كل المصلحين المسلمين الذين ظهروا في القرن الماضي، ولما كانوا يرون هذا الضعف في القيادات التي تحكمت في مصائر المسلمين وكانوا قد أدركوا تأخر المسلمين بالنسبة لما بلغه الأوربيون فإن المصلحين المسلمين قد ذهبوا إلى العمل على وحدة الشعوب الإسلامية، كل بمفهومه الخاص وطريقته الخاصة، وإلى تقوية قيادتهم إما بتقوية الخلافة العثمانية أو بخلق بديل لها.

(٤) قلنا: الجزية اصطلاحاً هي ما يفرضه الإسلام على أهل الذمة الذين يعيشون تحت ظل الحكم الإسلامي. والمؤلف يستعمل اللفظ هنا بمعنى الضريبة وربما استعمل المؤلف اللفظ بهذا الوجه لأن الحاكم الذي فرض الضريبة ليس حاكماً إسلامياً بحيث تعتبر شرعية.

(٥) قلنا: القبر بالكسرة والسكون يعني الضريبة في بعض لغات اثيوبيا. والمؤلف يشير إلى فرض هذه الضريبة على التجار في سوق القلابات عندما خضعت القلابات للحبشة.

واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن تولى على الحبشة يوحنا الذي صار قتله واهلاك جيشه ودمار ملكه على يد عامل خليفة المهدي عليه السلام الزاكي طمل، كما سيأتي ذلك.

ولما استقر يوحنا على كرسي مملكة الحبشة تجبر وطغى وتمرد واشتدت وطأته وتضاعفت في القوة شوكته وامتدت يده على بلاد الإسلام وبث جنوده في سواحل البحر الأحمر حتى أخذ من الترك عدة مدائن[1] ووضع بمقابلة تلك الحدود من رجال دولته ذوي الدهاء والجراءة كمثل رأس الولا[2] وغيره. فإن رأس الولا المذكور كان من الشجعان المشاهير في الحرب. ولقد كان من الدهاء والخبرة التامة بمكائد الحرب بمكان. وكان شجي في حلوق أهل دولة الانكليز وايطالية والترك حتى أن الجوائب والوقائع[3] والجرائد الإنكليزية اكثرت طنينها بذكره والتنويه بقدره حتى صاروا يعيرون بعضهم البعض بالفرار من عند الملاحم، يقصدون بذلك تحريض بعضهم البعض على قتله والاستراحة من شره، فعجزوا عنه حتى خذله الله تعالى هو والملك يوحنا على يد عامل سيدنا خليفة المهدي عليه السلام.

وبذلك تمكن يوحنا الملك من أرض الإسلام وهو من أشد ملوك الحبشة

---

(١) قلنا: يتحدث المؤلف هنا عن حروبات الحبشة مع المصريين وقد بدأت تلك الحروبات سنة ١٨٧٥م، عندما قام الخديوي اسماعيل بشراء بعض موانئ البحر الأحمر من الباب العالي. وفي نفس العام أرسل إسماعيل حملة مكونة من أورطتين بقيادة الكلونيل ارندروب وهو أمريكي يعمل بالجيش المصري فقام يوحنا بتجريد حملة التقت بهذه الحملة المصرية في ١١ نوفمبر ١٨٧٥م في قندت وهزمها. ثم أرسل إسماعيل حملة أخرى بقيادة راتب باشا ووصلت الحملة إلى مصوع في ديسمبر ١٨٧٥م. ثم تحركت إلى الداخل وأسست بعض المواقع الحربية. وقد خرجت القوة من تحصيناتها والتقت بقوة يقودها الامبراطور يوحنا ووقعت معركة هزم فيها المصريون وبذلك انتهت المشاريع المصرية للتوسع في داخل الحبشة واكتفوا بسنهيت ومصوع.

(٢) قلنا: رأس معناه الحرفي رأس. وهو لقب يمنح عادة لرؤساء الأسر الكبيرة وحكام المقاطعات والحكام والوزراء وكبار الموظفين في اثيوبيا.
وكان رأس الولا حاكم الجزء الشمالي الغربي من ارتيريا وكان قائداً ماهراً ويعزى إليه فضل كبير في وقف الزحف الايطالي على الحبشة. وقد هزم الأنصار في واقعة كوفيت وشارك في معركة عدوا الحاسمة. توفي في سنة ١٨٩٧م.

(٣) قلنا: الجوائب والوقائع جريدتان مصريتان، والأخيرة هي الصحيفة الرسمية للدولة المصرية.

بغضاً للإسلام وأهله. أخبرني من رآه وهو في ملكه أنه إذا قابله أحد من المسلمين في الصباح يتشاءم بمقابلة المسلم والنظر إليه. ففي الحال يدعو بالصليب الذي يعبده من دون الله ويمسح به وجهه ليزيل عنه شؤم نظر المسلم إليه. وكم له في الإسلام أمور أشنع من ذلك اضربنا عن ذكرها، أبعده الله. فلا جرم إن الله سلط عليه هذا الجيش المنصور الذين اتخذوا الجهاد لاعلاء كلمة الله تجارة لن تبور فقتلوه شر قتلة.

هذا ولما أظهر الله المهدي عليه السلام وبعث عماله إلى الجهات للدعاية إلى الله كان أرسل محمداً ولد أرباب(1) عاملاً على ثغر القلابات وكتب عليه السلام إلى يوحنا ملك الحبشة كتاباً يدعوه(2) فيه إلى الله فلم يقبل ورد اشنع الرد(3) وأرسل جيوشه لمحاربة محمد ولد أرباب فجرت بينهم حروب إلى أن استشهد فيها ولد أرباب المذكور كما ذكرناه في كتابنا «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي»(4).

---

(1) هو محمد أرباب، من تكارير القلابات ويقال إنه ابن عم صالح ادريس شنقة الذي يرد ذكره فيما بعد. لحق بالمهدي في الأبيض فأرسله عاملاً على القلابات وملحقاتها وقد احتل القلابات بعد أن انسحبت عنها الحامية المصرية. وبعد وفاة المهدي جعل الخليفة عبدالله ولايته على القلابات وحدها وفصل عن ادارته القضارف والجيرة. صد هجمات الحبش ثم قاد حملة على جبل غورة داخل الحبشة واحتله واعتمد عليه أحمد البصيري الذي كان قد تعين من قبل المهدي وكان ذلك أول امتداد فعلي للمهدية لداخل الحبشة. انسحب بقواته من القلابات تحت ضغط الهجوم الحبشي بقيادة الرأس عدال إلى سرف سعيد ولكن الحبش لحقوا به وقتلوه وأفنوا قوته، وكان ذلك في سنة ١٨٨٧م.

(2) قلنا كان ذلك في ٢ رمضان ١٣٠٢ الموافق ١٦ يونيو سنة ١٨٨٥ انظر نصه في الملحق.

(3) قلنا: انظر نصه في الملحق. وقد وصل هذا الرد إلى القلابات في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٥م (١٤ ذي الحجة ١٣٠٢) أي بعد وفاة المهدي بنحو ثلاثة أشهر.

(4) قلنا: في نوفمبر ١٨٨٥م (صفر ١٣٠٢) هاجم محمد أرباب كنيسة تقع على مسافة يوم من القلابات وقام بتخريبها. وفي يناير ١٨٨٦م (ربيع ثاني ١٣٠٣) هاجم صالح شنقة ودهنشوم مدينة القلابات إلا أن الأنصار تمكنوا من صد ذلك الهجوم وقد هرب صالح شنقة فتبعه الأنصار وقضوا على فلوله. وفي نفس الوقت كان الحبش قد هاجموا على تبارك الله. وفي يونيو ١٨٨٦ (رمضان ١٣٠٣) هاجم ولد أرباب جبل غورة واحتله واعتمد أحمد البصيري (البوصيري) وكيلاً له عليه وهذا أول امتداد للمهدية في الأرض الحبشية. وفي يناير ١٨٨٧ (ربيع آخر ١٣٠٤) شن الحبش هجوماً قوياً على تبارك الله، وكان يعاونهم جماعات من الحمران والضباينة والشكرية والتكاير. وقد أرسلت نجدة بقيادة ادريس أحمد وديدي إلا أنها =

فلأجل ما ذكر وتعدي يوحنا على أرض الإسلام وقتله لأصحاب المهدي عليه السلام بغيا طالما صرع أهله وأوردهم كما يورد الهدى محله بعث خليفة المهدي عليه السلام يونس الدكيم إلى ثغر القلابات.

ومن هنا يتضح لمن نور الله بصيرته أن قتال الحبشة اليوم جائز شرعاً بل واجب وجوباً أكيداً على الأمة الإسلامية لأنهم تعدوا الحدود ولم يتركوا أهل الإسلام فحل لنا قتالهم بمقتضى قوله عليه الصلاة والسلام لأن قوله صلوات الله وسلامه عليه: «اتركوا الحبشة ما تركوكم»، يدل دلالة صريحة على أن المعنى اتركوا الحبشة مدة تركهم لكم، يعني فإن لم يتركوكم كما وقع من يوحنا وتعديه على أرض الإسلام فلا تتركوهم يا معاشر المسلمين بل قاتلوهم، وهذا هو الذي يجب على كل مسلم اعتقاده، والله الهادي وعليه اعتمادي.

ولما بعث سيدنا خليفة المهدي عليه السلام يونس إلى ثغر القلابات خرج بنفسه الكريمة مشيعاً له حتى تجاوز البحر على الوابور ونزل بشرق النيل وودع يونس الدكيم[1] وأوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً وبالغ له في الموعظة. ثم سافر يونس الدكيم مجدّا السير إلى أن وصل إلى ثغر القلابات في جيوش عظيمة.

ولقد كان قبل وصوله إلى ذلك الثغر بلغه أن بثغر القلابات جماعة أتوا من أرض الحبشة متظاهرين بالتجارة، وفي الباطن لهم ضمائر مع الحبشة يخبرونهم بأحوال الأنصار وينهون إليهم الأخبار، فكتب يونس وهو بالطريق إلى رجل يدعى سكر[2] من جماعة ولد أرباب كان بعد استشهاد ولد أرباب

= وصلت بعد انسحاب الحبش. وفي يناير أيضاً هجم الحبش بقيادة الراس عدال على القلابات. تلك ملخص لحروب ولد أرباب التي يشير إليها المؤلف.

(١) قلنا: يؤخذ من خطاب من الخليفة إلى حمدان (المهدية ١/٢٥/٤/٩٢٧) أنه تحرك في ٦ جماد أول سنة ١٣٠٤، وذلك يوافق ٣١ يناير ١٨٨٧. وكان من عادة المهدي والخليفة توديع القوات المسافرة خارج العاصمة في جهات معلومة وهي الخرطوم بحري في هذه الحالة.

(٢) قلنا: محمد أرباب سكر: من تكارير القلابات وقد عينه الخليفة خلفاً لمحمد أرباب. وفي عهد يونس الدكيم نشب بينه وبين يونس نزاع. وقد قتل بتهمة الخيانة بأسباب هذا النزاع.

جمع عليه من بقي من الأنصار بالقلابات وصار يلاحظ أمورهم[1]. فلأجل ذلك كتب إليه يونس يأمره في كتابه المذكور بأن يضع العيون والحرس على الجماعة المذكورين لئلا يفروا من البلد إلى حين حضوره.

ثم بعد وصول يونس بالقلابات ضبط الجماعة المذكورين واودعهم السجن. ثم حضر آخرون على تلك الصفة فأودعهم السجن أيضاً. وهكذا إلى أن ضبط منهم عدداً وافراً. ثم أرسلهم إلى خليفة المهدي عليه السلام وبعد وصولهم لدى سيدنا خليفة المهدي عليه السلام دخلوا في دين الإسلام فعفا عنهم وبايعهم ثم سيرهم إلى يونس الدكيم بثغر القلابات ليكونوا هنالك مع الأنصار. وربما يبعثون إلى أهاليهم من يخبرهم بسطوة المهدية واحسانها وعفوها عمن يأتي إليها طائعاً منقاداً ليهتدوا إلى الإسلام[2].

ولقد كان بعد وصول يونس إلى ثغر القلابات وتأمينه للناس وتطمينه للبلاد شرع في ارسال البعوث إلى أرض الحبشة.

---

(١) قلنا: لم تتأثر الحركة التجارية بالوضع السياسي واضطراب الأحوال على الحدود. فقد استمرت عملية التبادل التجاري على يد التجار الحبش المعروفين بالنقادية. وكان يونس يرى فيهم «أهل بيع وشراء فقط لا أهل محاربة». وقد سمح الخليفة باستمرار التبادل التجاري على يد النقادية. وكان أحد زعماء التجار الحبش ويدعى اكسم قبرو قد طلب من يونس أن يسمح باستمرار التجارة بين البلدين على أن تظل كل مجموعة على دينها فوافق يونس وأيده الخليفة في ذلك، ومما قاله الخليفة عنهم في تبرير هذه السياسة: «مساكين وضعاف وليس متراء منهم ضرر وحاصله الثمرة من حضورهم للمجاهدين فلا مانع من تركهم والتضرع لهم بالحضور... ولكن يؤخذ منهم الثمن من جملة الأشياء التي يحضروها».

(٢) قلنا: يشير المؤلف هنا إلى مصير القافلة التجارية التي حضرت إلى القلابات في مايو ١٨٨٧ (منتصف شعبان ١٣٠٦هـ). وكانت مكونة من ٤٠٢ من التجار الحبش والجبرتة. فقام يونس باعتقال القافلة ومصادرة بضائعها وأرسلها إلى أم درمان. وكانت حجة يونس في اعتقالهم أنهم من الحبش الذين لا يقيمون الصلاة ويدفعون القبر للحبشة. ولكن هذه الحجة لا تفسر الدواعي الحقيقية لاتخاذ تلك الخطوة. ويرى سلاطين أن السبب هو امتناع يوحنا من الرد على خطاب الخليفة. ولعل كثرة عدد القافلة وما تحمله هي التي أغرته على أمل أن يعتبر عمله ضربة معتبرة تسر الخليفة وترفع أسهمه عنده. ويعتبر هولت هذا الاجراء خيانة من قبله، وهذا حكم أخلاقي.

الفصل الثاني

الفصل الثاني في ذكر بعث علي جيبر إلى جبل غورة من أرض الحبشة، وهو جبل بينه وبين القلابات نحو ثلاثة أيام.

قد كان يونس الدكيم بعد وصوله إلى ثغر القلابات بث العيون والطلائع بمحل اجتماعهم يبادر بارسال البعوث إليهم ليشنوا عليهم الغارة توهينا لهم وتدويخاً. وهذا من مكائد الحرب لأن توهين العدو مطلوب مهما أمكن.

فأول بعث بعثه يونس إلى أرض الحبشة بعث علي جيبر، لأنه لما بلغه أن بجبل غورة المذكور جمعاً عظيماً من الحبشة وعليهم رئيس من رؤساء الحبشة يدعى دجاج[1] سيوم بعث يونس إليهم جيشاً وجعل على الجيش المذكور عليا جيبر وأمره بأن يدعوهم إلى الإسلام ومتابعة المهدي عليه السلام، فإن أبوا ذلك يناجزهم الحرب.

فخرج علي المذكور مجدا السير إلى أن وصل بقرب جبل غورة المذكور. فاتفق أن رئيس الحبشة المذكور أرسل له طلائع ليقفوا على حقيقة جيش الأنصار، فعادوا واخبروه بقوة الجيش. ولما تحقق عجزه عن محاربة جيش الأنصار، فر رئيس الحبشة المذكور وتوغل في أرض الحبشة لينجو بنفسه. وأحاط جيش الأنصار بالمحل المذكور وألقى الله الرعب في قلوب الحبشة فانهزموا بمجرد نظرهم لجيش الأنصار بدون محاربة. ومن أدركه الأنصار منهم

(١) قلنا: دجاج لقب من ألقاب الحبشة وربما يماثل لقب الأمير في المهدية.

قتلوه، ومن جد في الهرب سلم من القتل. وهدم الأنصار الكنائس التي بغورة. ووجدوا بعضاً من الأنصار كانوا مأسورين من وقعة محمد ولد أرباب التي استشهد فيها فخلصوهم من أسر الحبشة. وغنموا من الحبشة غنائم وافرة وأسروا منهم. وعادوا بالجميع إلى ثغر القلابات سالمين.

ولقد كان الأنصار عند غزوهم لغورة مروا في طريقهم على المناتق، وهي الحزق[1] التي يمر عليها الناس بين تلك الجبال التي هي بأرض الحبشة، وهي طرق ضيقة جداً، صعبة المرور، حولها مهاوٍ هائلة، بحيث إذا سقط فيها الجمل المحمول وأصغى الناس إلى حركة مهواه لا يسمعون له حركة لطول المهاوي المذكورة وغورها وعمقها في الأرض جداً، مع صعوبة المرور على تلك الطرق جداً، بحيث أنه لا يتمكن من المرور بها أحد إلا بعد المشقة الفادحة مع الصعود تارة والهبوط أخرى، والارتقاء مرة والنزول أخرى، ومع امتدادها في المسافة جداً. ومع ذلك فجزى الله أنصار الدين خيراً، فإنهم مروا على تلك الطرق الصعبة ولم يبالوا بصعوبتها أصلاً، كما هي عادتهم في تحمل المشقات ومقاساة الشدائد في رضاء الله تعالى.

---

(١) قلنا: قيل في ذلك شعر طريف. وقد رواه بعضهم بهذا النص:

أنصار الدين نصروا والمنتق طلعوا
يصعب على الجبوا أولاد أهلو أبوا

وروى الشيخ محمد عبد الرحيم أن حمدان كان يترنم أمام جيشه بهذا الشعر، وهو يروي نصه على هذا الوجه:

الأنصار المنتق طلعوه والدين نصروه
كعب على الجبوه أهل بيته أبوه

الفصل الثالث

الفصل الثالث في ذكر بعث عربي دفع الله[1]
إلى دبر سينة.

هذا البعث سببه أن يونس الدكيم لما علم بأن صالح شنقة[2] وعائلاته وجميع من كان معه من أهله مقيمون بالمحل المذكور ومعهم رئيس من رؤساء الحبشة مستندين إليه في ذلك المحل بعث إليهم عربي دفع الله يدعوهم إلى الله وإلى متابعة المهدي عليه السلام، وإن أبوا يناجزهم الحرب.

وقد ذكرنا في كتابنا «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» أن صالحاً هذا، وهو جدير بأن يسمى طالحاً، كان حاكماً على القلابات من طرف ملوك الترك. وفي الحقيقة هو واسطة بين الترك وبين الحبشة في أداء واجبات الأموال

---

(١) قلنا: عربي دفع الله: أمير أمراء. من قبيلة التعايشة ومن أقرباء الخليفة عبدالله. قضى بعض الوقت في القلابات وفي دنقلا ثم عين عاملاً على عمالة بحر الجبل فوصل الرجاف في سنة ١٨٩٠م وبقي بها حتى سنة ١٨٩٨م مقاوماً ظروفاً طبيعية قاسية ومواجهاً للجهادية الذين استقروا بالاستوائية بعد خروج أمين باشا والزحف البلجيكي القادم من الكنغو وقد استطاع أن يسجل عليهم انتصارات حاسمة. وبعد سقوط المهدية ذهب إلى دارفور وظل بها حتى قتله علي دينار في سنة ١٩١٦م ـ ويقول المؤلف إن الحملة التي يذكرها كانت بقيادة عربي والصواب أنها كانت بقيادة هنون النيل وعندنا أنه تفادى ذكر هنون لأن هنونا كان قد أعدم لمشاركته في دعوة النبي عيسى التي ظهرت بالقلابات في ذلك العهد.

(٢) قلنا: صالح شنقة: هو صالح ادريس وشنقة لقب وهو من تكارير القلابات وكان في العهد التركي شيخاً عليهم وممثلاً للحكومة في المنطقة وهو من مجاوري الأزهر وعمل في أول عمره إماماً لمسجد القلابات وكان له جيش خاص من الحبش والتكارير ـ ساءت علاقاته بالأنصار منذ أول وهلة فساعد على انسحاب الحامية المصرية من القلابات ودخل معهم في عدة معارك. لم نقف على تاريخ وفاته.

التي وظفها الحبشة على الترك ومن معهم بالقلابات. فالمذكور واسطة في تسوية مسألة الترك مع الحبشة بالقلابات ومداراة الحبشة والتلطف بهم لئلا يزيلوا تعلقات الترك من القلابات بالكلية، إذ لولا توسط صالح المذكور والتزامه بأداء الجزية للحبشة لما[1] تركوا الترك بذلك المحل أصلاً.

هذا ولما أظهر الله المهدي عليه السلام ورأى صالح شنقة أن دولة الترك لا تغني عنه شيئاً جنح إلى ملك الحبشة يوحنا الهالك وانتمى إليه وصار من ضمن رعيته حتى جعله من ضمن رؤساء دولته. ولقد كان صالح المذكور من رؤساء الحرب في واقعات ولد أرباب. وبعد انفصال تلك الحروب عاد إلى أرض الحبشة فأمره يوحنا بالاقامة هو وعائلاته ومن كان منضماً إليه في دبر سينة، بينها وبين القلابات نحو خمسة أيام. فلذا وجه يونس الدكيم عربي دفع الله وجعله على جيش من الأنصار ليدعو صالحاً ومن معه إلى الله ومتابعة المهدي عليه السلام، وإن أبوا ذلك يناجزهم الحرب.

فخرج عربي دفع الله ومن معه من الأنصار وجدوا السير إلى أن وصلوا إلى دبر سينة ونازلوا البلد المذكور فخرج صالح شنقة ومعه ولد لدهنشوم الحبشي[2] الذي هلك في بعض واقعات محمد ولد أرباب مع الحبشة ووقع المصاف بينهم وبين الأنصار بقرب البلد المذكور جداً وانتشب القتال بينهم فلم يلبث الحبشة مع صالح شنقة في ميدان الحرب إلا قليلاً وولوا الأدبار منهزمين أقبح هزيمة، حتى أن صالحاً المذكور فر هارباً على بغل جرى بغير سرج ولا لجام من شدة الدهشة والفزع، وأسلم نساءه وابناءه للأسر ونجا بنفسه.

ولقد بلغنا أن صالحاً لما ترك نساءه وأبناءه وفر قالت له إحدى نسائه وحظاياه: أفي مثل هذا اليوم تتركنا وتفر؟ فضربها بالسيف وقتلها وفر على بغله المذكور، قبحه الله وأخزاه. فلقد جمع بين العار والنار[3]. وقد كان حين

---

(١) في الأصل «كما» والسياق على «لما».

(٢) قلنا: في الأصل «الجيش» ولكن السياق على «الحبشي».

(٣) قلنا: العار عار الفرار والنار لكفره.

فراره على حالة غير معهودة حتى يعلم ويفهم(١) ولو علم به الأنصار حين فراره لاقتفوا أثره إلى أن يهلكوه أو يأسروه، ولكنه فر على حالة اختفاء لكيلا يعلم، وسيقع إن شاء الله تعالى في القبضة حتى يذوق وبال أمره وعاقبة مكره.

وبعد انهزام الحبشة أحاط الأنصار بالمحل المذكور وأقاموا به يومين لجمع الغنائم وضبط الاسارى ومن ضمنهم أبناء صالح شنقة وبناته ونساء أخيه باسي علي وأبناؤه. وباسي علي أخو صالح المذكور لم يكن حاضراً وقت الحرب، فإنه كان غائباً في بعض شئونه.

ثم رجع الأنصار قاصدين القلابات. وفي عودتهم اتفق أن الحبشة المنهزمين من الوقعة المذكورة تجمعوا بفم المناتق المذكورة وأرادوا الظفر بالأنصار هنالك، لأن المناتق كما تقدم على جبال شامخة صعبة الصعود، وفيها مضايق ليس للخيال فيها بحال(٢) وأماكن موحشة حولها مهاوي هائلة، إذا سقط فيها الإنسان أو غيره لا يرجى له عودة.

فتصادف أن بعض الأنصار دخلوا المناتق المذكورة وشرعوا في المرور عليها. ولما أراد البعض الآخر الشروع في أثر أخوانهم حملت عليهم الحبوش وانتشب القتال بينهم فصدقهم الأصحاب القتال واستحر الوهن في الحبشة فانهزموا أقبح هزيمة بحيث لا يلوي أحد على أحد، وتفرق جمعهم المذكور، واستشهد بعض من الأصحاب ثم تخلصوا من المناتق المذكورة ووصلوا إلى ثغر القلابات ومعهم الغنائم والأسرى المذكورون.

---

(١) قلنا: نقصد متنكرا.

(٢) قلنا: النص هنا «ليس للخيال فيها بحال»، وفي ص ٧٤ يقول «ومضائق ليس للخيل فيها مجال». ونحسب أن النص الأخير أقرب إلى السياق.

الفصل الرابع

الفصل الرابع في ذكر بعث قدبي من أرض الحبشة.

قد كان بلغ يونس الدكيم من الطلائع التي بثها بأرض الحبشة لكشف أحوالهم وبيان مجامعهم أن بمدينة قدبي سوقاً كبيراً للحبشة يجتمعون فيه، وفيه من الرجال والأموال عدد وافر. وفي تلك البلدة رجل يدعى يحيى ولد الوكيل من أهالي تلك الجهة كان عاملاً عليها من طرف محمد ولد أرباب.

فاتفق أن يحيى المذكور بعد استشهاد ولد أرباب عمل له مباطنة مع الحبشة ومكنهم من البلد المذكور حتى صاروا يأخذون من أسواقه العشور مع وجود يحيى المذكور، وذلك باتحاده مع الحبشة حتى صار يهاديهم. ولما تحقق ليونس خيانة يحيى المذكور أرسل إليه. فلما حضر عنده بثغر القلابات أودعه السجن. ثم بعث جيشاً لجهة قدبي المذكورة وجعل عليه الياس علي كنونه فجد السير إلى أن وصل إلى المحل المذكور وأحاط بأهله، فمن استسلم منهم وانقاد أسر، ومن أبى وحارب قتله. ثم حضر الياس بالغنائم والأسارى إلى القلابات.

ثم إن يونس الدكيم عقد مجلساً وأحضر فيه يحيى المذكور وسأله عن جميع ما نسب إليه من الخيانة ومباطنة الحبشة واتحاده معهم ومهاداته[1] لهم فاعترف بجميع ذلك وثبتت خيانته، حتى إنه أمد الحبشة ببعض من الأسلحة النارية. ولما ثبتت خيانة يحيى كما ذكرناه أمر يونس الدكيم بصلبه، فصلب جزاءً له على مكره وعبرة لغيره.

(١) قلنا: يقصد تبادل الهدايا معهم.

الفصل الخامس

الفصل الخامس في ذكر ما يتعلق بواقعة عجيل عوض الحمراني.

قد كان عجيل هذا رئيس أعراب الحمران[1]، وهو من أهل الجراءة. وقد كان التحق بأرض الحبشة فراراً من المهدية وأقام بمحل يدعى غبتة من أرض الحبشة واستند إلى الحبشة وشرع في الفساد في الأرض بشن الغارات إلى أرض الإسلام والسلب والنهب وقطع الطريق، وانضم إليه من المفسدين وقطاع الطريق من هم على شاكلته ومثل عمله، فصار يصول بهم على أرض الإسلام ويسفك الدماء. فبلغ يونس أن عجيلا المذكور حشد وجمع لحرب الأنصار المقيمين بالرباط المدعو تبارك الله مما يلي جهات أتبره.

فبعث يونس لحربه وكفه عن الفساد في الأرض جيشاً من الأنصار، وبينما هم على الطريق قاصدين جهة عجيل إذ تقابلوا مع الجيش الذي أرسله عجيل لحرب الأنصار الذين بالرباط المذكور، وعلى ذلك الجيش المفسد في الأرض أخو عجيل يقودهم. وأما ذات عجيل فتوجه إلى يوحنا يستمده للحرب.

ووقع المصاف بينهم بجهات رباط تبارك الله واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم

---

(١) قلنا: الحمران إحدى قبائل الشرق وتسكن على ضفاف نهر ستيت، وهم إحدى بطون الارتيقة، وكانت لهم الامارة على جزيرة سواكن. وعندما كثر عددهم رحلوا إلى نهر عطبرة بالقرب من قوز رجب. ثم ارتحلوا إلى نهر ستيت واتخذوا مكاناً يقال له عنابر عاصمة لهم. وفي بادية هذه القبيلة وقعت قصة تاجوج والمحلق التي تعد من أروع قصص الحب في الأدب الشعبي السوداني. أنظر حياة تاجوج والمحلق لمحمد صالح ضرار وكتاب التراث الشعبي لقبيلة الحمران للطيب محمد الطيب، والأخير من منشورات شعبة أبحاث السودان.

أجلت المعركة عن هزيمة أصحاب عجيل الحمراني ففروا هاربين لا يلوي أحد على أحد وركب الأنصار اكتافهم قتلاً وغنموا منهم أسلحة نارية ودروعاً ولبوساً وخيولاً وغير ذلك وعادوا إلى ثغر القلابات.

هذا وما زالت طلائع يونس الدكيم تتردد إلى أرض الحبشة وتعود إليه بأخبارهم لأن يونس الدكيم من أولي العزم والحزم والاقدام والجراءة في الحروب والمعرفة بمكائد الحرب. وبينما هو على هذه الحالة إذ أتت إليه الطلائع في بعض المرات وأخبرته بأن بعضاً من أولياء(١) من أوائل جيوش يوحنا ملك الحبشة حضر بمدينة قندر(٢)، وذات الملك يوحنا حضر بدبر تابور، وهو بصدد ارسال الجيوش امامه شيئاً فشيئاً، وهو في أثرهم آتٍ للحرب.

فعند ذلك استعد يونس للحرب غاية الاستعداد وكتب لخليفة المهدي عليه السلام ينهي إليه جميع ذلك. فعند ذلك توجهت أفكار سيدنا خليفة المهدي عليه السلام المنورة بأنوار الحكمة وفصل الخطاب إلى قمع الحبشة، فرماهم بالجبال الراسيات من رجال الحرب وأولي البسالة والإقدام، وبعث حمدان أبا عنجة إلى ثغر القلابات كما سيأتي ذلك.

ثم كتب خليفة المهدي عليه السلام إلى يونس الدكيم يأمره بالحضور عنده لتجديد العهد بالزيارة والتنور بأنوار المذاكرة كما هي عادة سيدنا خليفة المهدي عليه السلام مع جميع العمال الذين بالجهات إذا طال عهدهم، فإنه يطلب حضورهم ليتنوروا بأنوار المذاكرة لأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فتكون المذاكرة جلاء لها فيعودون من عندهم وهم على غاية من الهداية والتنوير والرشد والصلاح، رضي الله عن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام! فما أشد شفقته على اصلاح العباد!

وقد حضر يونس طبق الإشارة، وبعد تنويره بأنوار المذاكرة صدرت له الإشارة بالرجوع ثانياً إلى القلابات ليكون مع حمدان أبي عنجة يداً واحدة

(١) قلنا: أولياء هنا بمعنى أولي أي أصحاب وقادة وليس جمع الولي.
(٢) قلنا: قندر مدينة بالحبشة وتكتب أيضاً قندار وغندار، وهي من أهم المدن التجارية في الحبشة.

على نصرة الدين. فرجع يونس إلى ثغر القلابات. ثم لم يلبث يونس بالقلابات مع حمدان أبي عنجة إلا قليلاً وصدرت الإشارة بطلبه إلى بقعة المهدي عليه السلام. فحضر يونس بالبقعة ومكث فيها الدكيم أميراً على عموم الجيوش البحرية لفتح مصر، كما سيأتي ما يشاء الله أن يمكث. ثم صدرت الإشارة الكريمة بتعيين يونس إن شاء الله تعالى ذكر ذلك[1].

هذا وقد رأينا أن نذكر المنشور الذي أرسله سيدنا خليفة المهدي عليه السلام ليوحنا ملك الحبشة يدعوه فيه إلى الله والدخول في دين الإسلام ومتابعة المهدي عليه السلام وينذره ويحذره شؤم عاقبة المخالفة. وهو أحد منشورين كتبهما سيدنا خليفة المهدي عليه السلام ليوحنا ملك الحبشة. وسنذكر الثاني عند واقعات حمدان أبي عنجة مع الحبشة ولفظ المنشور:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

إنه من العبد القائم بأمر مولاه في نصرة الإسلام خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق إلى عظيم الحبشة يوحنا.

أما بعد، فاعلم ان الله عزّ وجلّ هو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير والشر والنفع والضر، لا إله غيره ولا شريك له يفعل في ملكه ما يريد، وله التصرف النافذ في جميع العبيد، خلق الخلق ليعبدوه وأرسل إليهم رسله ليعرفوه فيوحدوه، وجعل للمطيع الجنة بفضله وللعاصي النار بعدله، وختم النبوة والرسالة بحبيبه ونجيه ورسوله وصفيه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وشرف وعظم وكرم حين أرسله إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً

---

(١) قلنا: لا يذكر المؤلف أسباب استدعاء يونس إلى أم درمان لحساسية الموضوع، إذ أن ذلك متعلق بالصراع الذي دار بين حمدان ويونس حول قيادة الجيش هناك. وقد تطور ذلك الصراع حتى دعا الأمر إلى استدعاء يونس نهائياً. أنظر تفاصيل ذلك في كتاب «القضارف ـ القلابات» للأستاذ محمد سعيد القدال ص ١٢٦ ـ ١٣٤.

منيراً، وشرع على لسانه دين الإسلام ونسخ به ما سواه من شرائع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثم أظهر خليفته الموعود به في الخبر الإمام المهدي المنتظر ليجدد دين الإسلام ويقيم شعائره بين الأنام. فدعا الناس إلى اقامة الدين واحياء شريعة محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وأجاب دعوته من فاز وسعد وأعرض من شقي وطرد.

ولما أتى خليفته عليه السلام القائم من بعده في تأييد دين الإسلام فإني أدعوك إلى ذلك الدين الحق كما دعا الله إليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبينكُم أَلاَّ نعبُدَ إلاَّ اللهَ ولا نُشْرِكَ به شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1] فإن شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله نطقا بلسانك واعتقاداً من جنانك واجبت دعوتي وألقيت زمام أمرك طوع اشارتي فقد دخلت في حرم الإسلام وألفيت الرشد والفوز والاكرام وصرت أخاً لنا ومنا وإلينا لك ما لنا وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة في الله وتصدق المودة لله وتكون في أمن وأمان وخيرات حسان. وإن أعرضت عن قبول الإسلام وإجابة (داعِي)[2] الملك العلام فإنما عليك اثمك ويحيط بك مكرك. وحينئذ فليكن بعلمك أن تعدي الحدود عاقبته وخيمة وضرورته جسيمة. ونحن قد كنا معك ملاحظين اشارة قول سيد المرسلين: «اتركوا الحبشة ما تركوكم». ومن ثم فلم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جهتك حتى حصل منك التعدي البليغ على ضعفاء المسلمين الذين بالقرب إلى بلدك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة بالقتل والأسر والنهب والضر. وصار يأوي إليك كل من يرتد عن دينه من المسلمين كصالح شنقة وعجيل وادريس أبي جن ومضوي[3] ومن معهم من المرتدين.

---

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤

(٢) قلنا: لفظ «داعي» ساقط في المخطوط ووارد في أصل المنشور.

(٣) قلنا: سبق ذكر صالح شنقة وعجيل الحمراني فيما سبق. أما ادريس أبو جن فهو من عائلة أبي جن المشهورة والتي تتزعم قبيلة الحمدة بشرق النيل الأزرق في جهات الرهد. أما مضوي فهو المضوي عبد الرحمن من أحفاد الولي المشهور ادريس ولد الأرباب. وكان قد أيد المهدي =

ولما لم يكن تركك سدى على ذلك الحال وتعين الالتفات إلى صدك عن هذا المجال عينا الجيوش الكفاية من الأنصار أهل النجدة والحماية وما ذكرناه من كون تلك الارباع ممتدة على خط مستقيم هو إلى الاقامة بالثغر الموالي لجهتك رصداً[1] لما يتوقع منك. فإن كنت تريد رفع المحاربة عنك وعدم غزو جيوش المسلمين ببلدك فأولاً بادر بإرجاع كافة اسراء المسلمين الذين بطرفك من ذكر وانثى وحر وعبد وصغير وكبير باكرام واحترام حتى لا تترك أحداً منهم عندك ولو كالغلام. وثانياً الجماعة الذين ارتدوا وانضموا عليك كصالح شنقة وادريس أبي جن وعجيل ومضوي ومن معهم إن كانت لهم رغبة في الرجوع لدينهم مستسلمين فاخرجهم من بلادك واوصلهم إلينا مكرمين، وإن كانوا لم يزالوا مصرين على ردتهم ومختارين الكفر على إيمانهم فخذ اقرارهم بذلك بمقتضى مكاتبة منهم باختامهم وارسلها لطرفنا لكي نعدهم من جملة قومك وحزبك وأهل ملتك وجندك. وثالثاً كف يدك عن التعدي على بلاد المسلمين[2] من الآن فصاعداً والزم حدودك ولا تمد لغيرها يداً. فإن فعلت ما ذكرناه لك فاعلم أننا نكف الحرب عنك ولا ندع جيش المسلمين يدخل بلدك. وإن اخترت الإسلام والدخول في صحبة المهدي السلام فستلقى القبول والاكرام في هذه الدار ويوم القيام. وإن أعرضت عن كلا الأمرين وغرك ابليس اللعين فلا بد من مناجزتك الحرب ووقوعك في القبضة بمشيئة الرب، لما أنا على هدى من الله وهو تعالى ناصرنا وناظرنا وخاذل أعداءنا ولو كانوا كعدد الرمل، لا بحول منا ولا قوة بل بحوله[3] وقوته وتأييده ونصرته، ولا شك أن من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له. وحينئذ فلا تغتر بكثرة عددك وقوة عددك العاريتين عن معونة الله، فإن لله من البطش الشديد ما لو تجلى به على الجبال لدكت وعلى الأرض لرجت.

= ثم اختلفا ثم أيد وشارك في حصار الخرطوم. ثم اختلفا في زمن الخليفة وهرب إلى الحبشة وذهب منها إلى مصر وظل مقيماً بها إلى نهاية المهدية ثم عاد إلى السودان بعد الفتح وتوفي عام ١٨٩٩.

(١) قلنا: في نص المنشور «رصدا» ولكن المؤلف ينقله صدا والأول هو الذي عليه السياق.

(٢) قلنا: هكذا أي «المسلمين» في نص المنشور ولكن المؤلف ينقله «الإسلام».

(٣) قلنا: أسقط المؤلف لفظ «هو».

وهذا ما لزم تحبيره إليك من الإنذار وفيه الكفاية لك إن كنت من أهل الاعتبار. وبعد وصوله بطرفك صحبة الرسل الواصلين به لك فترد لنا منك الافادة عنه بما يوافق رأيك، والسلام على من اتبع الهدى.

(جمادي الأول) ١٣٠٤[1]

(١) قلنا: يذكر المؤلف تاريخ السنة فقط وقد أضفنا نحن ما بين القوسين.
ويأتي بعد ذلك لفظ «انتهى» بمعنى أن نص المنشور قد انتهى. وقد الغينا ذلك. وهذا التاريخ يوافق ٢٦ يناير - ٢٤ فبراير ١٨٨٧.

الباب الثاني

في بيان سرية حمدان أبي عنجة إلى ثغر القلابات، وفيه فصلان.


مسطورات
MUSTORAT

تمهيد

ولما أتت كتب يونس الدكيم إلى سيدنا خليفة المهدي عليه السلام ينهي إليه أحوال الحبشة وقصد يوحنا لرباط القلابات بعث رضي الله عنه حمدان أبا عنجة على ثغر القلابات وكتب له بولاية الجيش المقيم بذلك الثغر والقيام بشعائر الجهاد لاعلاء كلمة الله، وذلك لأن حمدان أبا عنجة طالما خفقت بعز نصره الاعلام وحمد في نصرة الدين مسراه أهل الإسلام. وسيعلم الناظر في هذه الرسالة ما له من المآثر في حرب الحبشة مما يكون طرازاً لديباجة فضائله وعنواناً على غرر شمائله، فإنه، كما سيأتي، بلغ من أرض الحبشة محلاً لم تبلغه في الجيوش الإسلامية راية ولم تتل به قط سورة ولا آية، منتقماً لله تعالى ممن جحد توحيده ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى خده وريده. ولم يزل حمدان أبو عنجة هكذا حاله وحله في نصرة الدين وترحاله حتى وافاه حمامه وقوضت من دار الزوال خيامه.

هذا ثم خرج حمدان أبو عنجة فيمن معه من الجيوش من ذوي الحزم والعزم والاقدام، قاصدين اعلاء دين الله بقلوب صقلها التوحيد وبشرها الوعد، وأنذرها الوعيد، مستقبلين جموع الحبشة بنيات مقصورة على طلب الشهادة أو ينزل الله نصره.

وقد كان خروج حمدان والجيش من البقعة المباركة منتصف المحرم افتتاح سنة خمسة بعد الثلاثمائة والألف[1]. وخرج سيدنا خليفة المهدي علية

(١) قلنا: وصل حمدان إلى أم درمان من كردفان في ٢٧ رجب ١٣٠٤ الموافق ٢١ مارس وقد وافق ذلك الاحتفال بعيد الرجبية. ثم غادر أم درمان إلى القلابات في ١٨ محرم ١٣٠٥ الموافق ٦ أكتوبر ١٨٨٧.

السلام بنفسه الكريمة وتجاوز البحر على الوابور ونزل بشرق النيل لتوديع حمدان وتشييعه. ثم ودعه وأوصاه في نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً. وأوصى الجيش بتقوى الله وحذره من الغلول في المغانم. وانذر وبالغ في الموعظة اقتداء بالمنهج النبوي في ارسال السرايا. قلت: وهكذا دأب خليفة المهدي عليه السلام فإنه، رضي الله عنه، ما ارسل سرية إلى جهة من الجهات، أو بعث بعثاً إلى أمر مهم من المهمات، إلا وخرج بنفسه وشيعهم واوصاهم بتقوى الله وحذر وانذر وبالغ في الموعظة.

ثم سار حمدان أبو عنجة على الوابور ومعه حاشيته وخواصه بعد أن سير الجيوش براً وبحراً يؤم جهة القلابات. ولما وصل بأبي حراز العركيين خرج من الوابور هناك ووجد الجيوش مجتمعة هناك كما كان أشار إليهم بذلك. ثم ارسل للعاملين الزاكي طمل وعبدالله ابراهيم يطلب حضورهما عنده من جهات صعيد الجزيرة، لأن العاملين المذكورين كان ارسلهما سيدنا خليفة المهدي عليه السلام في سرية لقتال المارقين عن المهدية، اعني أولاد أبي روف، وهم المرضي وابن أخيه محمد ولد مالك وباقي اخوانهم ومن معهم من اهاليهم وعشائرهم جهينة(١)، ومن انضم إليهم في الخروج عن المهدية والفساد في الأرض.

وقد كان وقع بين تلك السرية وبين أولاد أبي روف حروب شديدة. وآخر الأمر انهزم أولاد أبي روف ومن معهم اقبح هزيمة وأخذتهم السيوف والرماح والرصاص من كل جهة وتتبعوهم حتى أفنوهم قتلاً. وأسروا نساءهم وأبناءهم وغنموا أموالهم وأسروا من سلم من رجالهم من القتل وسيروا الجميع لخليفة المهدي عليه السلام.

ثم إن العاملين المذكورين فيمن معهم من الجيوش جدوا السير إلى أن وصلوا بأبي حراز العركيين وقابلوا حمدان أبا عنجة هناك. فشرع حمدان في

---

(١) قلنا: في سنة ١٨٨٨م خرج بنو حسان بزعامة شيخهم المرضى أبي روف بالتحالف مع العقليين والعلاطين بسبب رفضهم للهجرة الجماعية إلى أم درمان وقد قضى على حركتهم في واقعة الاهليلج قصاد فاشودة.

ارسال الجيوش نحو ثغر القلابات طائفة بعد طائفة لأن الجيش المذكور جيش جرار، فخشي حمدان أبو عنجة من سيزه دفعة واحدة أن يحصل للجيش المذكور مزاحمة في المناهل أو غيرها فيتعبون أو يتلفون.

وهذا من حسن رأيه وتدبيره. فلقد كان من ذوي الرأي والحزم والشجاعة التامة والاقدام، والجراءة والمعرفة التامة بمكائد الحرب، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فأرسل طائفة من الجيش وعليها الزاكي طمل بطريق القلعة ارانج[1] ناحية منحى رباط القلابات.

وأرسل أخرى وعليها النور الشهير بعنقره[2] بطريق البحر. وأشار إلى العاملين المذكورين بأن يكون اجتماعهما بجهة راشد ـ اسم محل. وهكذا يرسل طائفة من الجيش بعد أخرى.

وفي أواخر صفر من السنة المذكورة قام حمدان أبو عنجة من أبي حراز العركيين في باقي الجيش سالكاً طريق البحر. وبينما هو في الطريق إذ أتى إليه كتاب من يونس[3] يخبره فيه بأن عدو الله يوحنا قد جمع وحشد وأرسل في مدائن مملكته باستنفار الجيوش للحرب. وأقبل في جيوش كسواد الليل أو دفع السيل. فهناك ازداد حمدان أبو عنجة نشاطاً على نشاطه وجد في السير إلى أن وصل إلى القضارف لمضي يومين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[4].

---

(١) قلنا: في الأصل القلعة اراج والصواب ما أثبتنا. وقد تحرك الزاكي في ٧ صفر الموافق ٢٥ أكتوبر.

(٢) قلنا: هذا ليس بصواب إذ إن الذي أرسل ليس النور عنقرة وإنما هو إسماعيل الأمين. وكان ذلك في ١٥ صفر الموافق ٢ نوفمبر. ولسنا ندري بالتحقيق لماذا استبدل المؤلف هنا إسماعيل الأمين بالنور عنقرة، ولكننا نحتمل أن الأمر يرجع إلى الخلط بينهما والاعتماد على الذاكرة.

(٣) قلنا: وصلت الرسالة الأولى من يونس الدكيم إلى حمدان وهو في أبي حراز، وكان ذلك في ٢٣ اكتوبر «أي ٥ صفر»، وقد ذكر فيه أن الحبش قد تأهبوا للهجوم على القلابات. ثم وصلت الرسالة الثانية في ١٧ صفر وهي تفيد بقرب وقوع الهجوم. ثم جاءته رسالة من عبد القادر البشير عامل التومات تفيد بأن عجيل الحمراني قد قدم من الحبشة على رأس قوة كبيرة.

(٤) قلنا: يوافق ذلك ١٨ نوفمبر ١٨٨٧.

فنادى في الناس بالامان والإطمئنان. ونبه على الجيوش بعدم تعدي أحد منهم على أهالي تلك البلاد.

ولقد كان حمدان محبباً في جيشه لمزيد إحسانه إليهم وشفقته بهم وايثاره لهم في كل شيء بحيث لا يتعدون اشارته ولا يخالفون أمره مع ما له من التبجيل والهيبة في الصدور.

ثم بعد أربعة أيام قام من القضارف مجدا السير إلى أن وصل بمحل يدعى سرف سعيد. ومن هناك ارسل حملة كافية من الجباخين ومعها جمع من الأنصار أولي النجدة والشجاعة والتيقظ للمحافظة إليها[1] إلى أن يوصلوها للقلابات.

اقول: وهذا كله على سبيل الاحتياط والأخذ بالحزم في أمور الحرب! فلله در حمدان أبي عنجة! ما اعرفه بأمور الحرب!

ثم قام من المحل المذكور مجدا السير إلى أن وصل بسهل يقال له غطرب[2]، بينه وبين القلابات مسافة ساعة فلكية. فتكاملت عليه هناك جميع الجيوش. ولما كان اليوم السادس عشر من شهر ربيع الأول[3] دخل رباط القلابات عند الضحى. وأمر الجيش حالاً بالعرض فعرضوا عرضاً لم يشاهد في جميع سرايا المهدية مثله في حسن الترتيب والرونق والهيبة وتمام التنظيم واتساع الميدان، لأن الجيش إذ ذاك في غاية من الكثرة وتمام الاحتفال والاستعداد[4]. وناهيك بحمدان أبي عنجة في أمثال ذلك فإنه قطب رحى الحرب!

ثم أمر بتربيع محل نزول الجيش المسمى بالديم وتنظيمه وترتيبه على

---

(١) قلنا: هكذا في الأصل والصواب: عليها.

(٢) قلنا: الأصل انه أطرب ولكن المؤلف يحاول أن يعرب اللفظ فيقول غطرب.

(٣) قلنا: يوافق ذلك أول يناير ١٨٨٨.

(٤) قلنا: عند قدوم حمدان من الأبيض إلى أم درمان كان معه ٢٨٢٥١ مجاهداً يتبعهم ٣١٩٥٥ من العوائل. ولما تولى القيادة في القلابات كان تحت قيادته ٥٥٦١٥ مجاهداً، ويدخل في ذلك من كانوا تحت قيادة يونس الدكيم.

الهيئة التي هو بها الآن بالقلابات[1]. إذ قبل هذا كان الديم المذكور مخلطاً من غير تعبئة ولا ترتيب ولا تمييز لاحوال النازلين به، فتمايزت بذلك القبائل، بمعنى أن كل قبيلة استقرت بجهة معلومة، وكذلك الرايات وما أشبه ذلك من الوجوه الداعية إلى حسن الهيئة ونظام أمر الناس هناك. وأمر حمدان ببناء أماكن هناك من الطوب المحروق لحفظ الجباخين وصيانتها لأنهم بصدد العدو. فالاحتياط في أمور الحرب ولاسيما الجبخانة من أوكد الواجبات الحربية الاستعدادية.

(١) أنظر أيضاً ما يلي ص ٨٨ وانظر خريطة الديم في الملحق. وقد كان موضع هذا الديم من المواضيع التي احتدم حولها الصراع بين يونس الدكيم وحمدان أبي عنجة. وقد اقترح حمدان إزاء ذلك أن ينتقل بجيشه إلى التومات لما ضايقه يونس. ثم اضطر حمدان لبناء مكان منفصل، وهذا الذي يشير إليه المؤلف دون أن يمس الصراعات الخلفية.

الفصل الأول

الفصل الأول في غزو حمدان أبي عنجة للحبشة.

ولما فرغ حمدان أبو عنجة من نظام رباط القلابات كما ذكرناه كتب لخليفة المهدي عليه السلام يرجو التشريف والتكريم بما يصدر له من الإشارة التي بها سعادة الدارين في أمر الحبشة، فأتاه كتاب سيدنا خليفة المهدي عليه السلام بالاذن له في غزو الحبشة في أرضهم، وذلك بإشارة نبوية وحضرة مصطفوية[1].

فقام حمدان أبو عنجة غازياً للحبشة في أرضهم أواخر ربيع الآخر من تلك السنة[2]. وسار مجدا إلى أن تخلص من المناتق واستوى على الأرض هو والجيش على أحسن حال.

وقد ذكرنا آنفاً أن المناتق هذه طرق على جبال شامخة صعبة الصعود شديدة الهبوط ذات أوعار ومضائق ليس للحيل فيها مجال، في أماكن موحشة (حولها مهاوي هائلة إذا سقط فيها الإنسان أو غيره)[3] لا يرجى له عودة، فتجاوزوها سالمين. وبينما حمدان يسير إذ بلغه أن عدو الله راس عدال[4] في جيوش من الحبشة كثيفة وخيول على الآلاف منيفة بمحل يدعى دنبيا[5]

---

(١) قلنا: أنظر نص الحضرة في الملحق.
(٢) قلنا: أي حوالي ٢٠ - ٢٩ ربيع آخر ١٣٠٥ وهو يوافق ٥ - ١٤ يناير ١٨٨٨.
(٣) قلنا: سقط ما بين الحاصرتين في الأصل.
(٤) قلنا: عدال في المخطوط وفي وثائق المهدية وفي غيرها عدار.
(٥) قلنا: هكذا في الأصل بالنون والصواب بالميم: دمبيا.

مستعد للحرب وقاصدٌ له. وهناك أمر حمدان بترتيب الجيش على الهيئة الحربية.

ولحمدان أبي عنجة مسلك عجيب ومنزع غريب في ترتيب الجيوش ساعة الحرب.

وإيضاح ذلك أن حمدان قسم الجيش المذكور على أربعة أرباع كما هي سالف عادته في ذلك. وجعل على الربع الأول أحمد علي[١] وعلى الربع الثاني عبدالله ابراهيم[٢] وعلى الربع الثالث الزاكي طمل الذي هو عامل القلابات الآن، وعلى الربع الرابع عربي دفع الله. ولكن هذه الارباع كلها ممتدة على خط مستقيم. وأما حمدان أبو عنجة فيمن معه من شجعان الملازمين وأهل النجدة وخفة الحركات الحربية في مقابلة الربع الذي عليه الزاكي طمل بحيث يكون مسامتا له من خلفه، ووراء الجميع أهل الرماح والسيوف. لأن الارباع المذكورة إنما هي من أهل الأسلحة النارية. لكن أهل الرماح من كل ربع من تلك الارباع يكونون وراء ربعهم بمسامتته أي بمقابلته فيكون حمدان أبو عنجة على هذا الوضع في قلب الجيش، ولكن في مقابلة ربع الزاكي طمل. وله اشراف ونظر إلى كافة الارباع المذكورة بحيث إذا ظهر له في أحدها خلل يقتضي الحال مداركته ففي الحال يمده بالرجال الذين بمعيته فيتداركون أمره وينجدونه[٣].

---

(١) قلنا: هو أمير الأمراء أحمد علي من قبيلة التعايشة بطن الجبارات وابن عم الخليفة عبدالله. وكان من كبار أعوان حمدان أبي عنجة. وبعد وفاته خلفه على العمالة إلا أن الجند لم يرضوا به فعين الخليفة الزاكي طمل فلم يرض أحمد علي به وصار يتآمر عليه حتى تسبب في قتله عطشاً وتولى العمالة بعده. قاد الأنصار في واقعة أقوردات في سنة ١٨٩٣ وقتل فيها.

(٢) قلنا: هو الأمير عبدالله ود ابراهيم وهو من الجعليين. بدأ حياته العاملة بأن أرسل بواسطة الاتراك لاغتيال المهدي في الابيض إلا أنه في اللحظة المناسبة كشف عن مهمته وسلم نفسه وأعلن إيمانه فعينه المهدي أميراً وقد خدم تحت حمدان وقتل في واقعة اقوردات.

(٣) قلنا: هذا نموذج للخطط الحربية في المهدية، ولمن يريد المزيد أن يرجع إلى كتاب «جهاد في سبيل الله» فإن مؤلفه قد اهتم بإبراز هذه الناحية كلما تكلم عن واقعة من الوقائع. وكانت تستعمل حسب نظام خاص. فالجهادية يحملون الأسلحة النارية. أما رجال القبائل فكانوا يحملون الأسلحة البيضاء كالسيوف والحراب. وكان هناك الفرسان. والأسلحة النارية التي استعملت في المهدية هي: أبوروحين وأبو لفتة وخشخشان والرامنتون.

وهكذا حاله رحمه الله رحمة واسعة.

وأما الخيل ففي أجنحة الجيش على حسب ما يليق بحالة الحرب إذ ذاك، وهو الوضع المحمود الذي اثنى الله على أهله حيث قال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(١)، يريد لا يدخله خلل. فإن الخلل في الصفوف طرق الشياطين. فإذا قطع هذا الخط ولم يتراص لم يظهر وجود للخط. والمقصود وجود الخط وهو معنى الرص. وكذلك صفوف المصلين لا تكون في سبيل الله حتى تتصل وتتراص فيها الناس. فمن لم يفعل وادخل فيها الخلل كان كمن سعى في قطع سبيل الله وازالته من الوجود(٢).

وبعد ترتيب الجيش على هذا الوضع أمرهم حمدان بالسير جهة العدو. فبينما هم سائرون على نحو ما ذكرناه إذ وافتهم طلائع الحبشة على نحو خمسة آلاف فرس. فصبر حمدان لهم حتى كانوا على ملفة منتهى سير الرصاص أمر الأنصار برميهم بالأسلحة النارية، فأمطروا عليهم من الرصاص ما يكاد يستر الشمس، فانهزم الحبشة أقبح هزيمة وقتلوهم شر قتلة وغنموا منهم خيولاً كثيرة.

وهذه الوقعة كانت عند وقت العصر.

ثم نزل حمدان أبو عنجة وباتوا بمحلهم المذكور. وللأنصار زجل بالتهليل والتكبير إلى الصباح.

وفي تلك الليلة أتت فرقة من الحبشة أهل الأسلحة النارية فناوشوا الأصحاب القتال. ولما أتى الله بالصباح، أعز صباح، رابع جمادي الأولى(٣)

---

(١) قلنا: سورة الصف الآية ٤

(٢) قلنا: لقد استرسل المؤلف في موضوع الصفوف مع أن أمره في القتال واضح من الآية، وكان يكفي القول - لو كان ذهنه منصرفاً إلى صفوف القتال فقط - بأن حمداناً اتبع نظام الصفوف في القتال تطبيقاً للآية، ولكن المؤلف فيما نحسب - يربط بين الصفوف وبين التقيد بشروط المهدية والالتزام بآدابها، وقد أوضح الخليفة عبدالله مثل هذا الربط في منشور له مشيراً بذلك إلى أن عدم الالتزام بقيادته يعتبر اخلالاً بالعقيدة كالتوقف عن صلاة الجماعة والإخلال بصفوف الصلاة التي ينبغي أن تكون مستقيمة ومترابطة وكاملة لا يتخلف عنها أنصاري.

(٣) قلنا: يوافق ذلك ١٨ يناير سنة ١٨٨٨.

رتب حمدان الجيش كما وصفناه سابقاً وحرض الأنصار على الصبر في مواطن الحرب، وأن النصر مع الصبر وعلى الثبات عند الوثبات. ثم قصد راس عدال وهو الآخر رتب جيشه، وتزاحف الجيشان.

ولما تقارب الجيشان ابتدرت الحبشة الأنصار بالضرب بالمدافع ثم بالبنادق، والأنصار مهرولون وجادون السير نحو الحبشة. ولما تمكنوا من القرب من الحبشة جداً، أمرهم حمدان بضرب اعداء الله، فامطروا عليهم من سحائب الرصاص ما حجبت الشمس فلم يشرق نورها، ومنعها عن أعين الناظرين فلم يتضح ظهورها.

وصدقهم المسلمون القتال ووقعت الملحمة فلم يلبث الحبشة في ميدان الحرب إلا أقل من نصف ساعة فلكية، وانهزموا أقبح هزيمة ولاذوا بشعاب تلك الجبال واستتروا بتلك الغياض والآجام، وأخذتهم سيوف الله من كل جهة حتى رويت من دمائهم وصدئت من مخالطة احشائهم إلى أن ارهقهم طلب الأنصار، والجأتهم ضرورة الفرار إلى نهر هناك يقال له بحر ابيض، فاقتحموه فغرق فيه أكثرهم وهلك. وهرب عدو الله راس عدال على وجهه وترك نساءه وأبناءه واسلمهم للأسر[١].

بعدما ارتفع النهار، ووضعت الحرب الاوزار، عاد الأنصار من طلب الحبشة سائقين الاسارى والغنائم أمامهم من رقيق وخيول وبغال بحيث أن كل صنف يبلغ آلافاً كثيرة.

وقد ترك الحبشة ديمهم ومحل خيامهم وموضع نزولهم والمامهم على ما هو عليه بحيث لم يأخذوا منه شيئاً، قاصدين السلامة لأنفسهم خاصة إلا من كان منهم على صهوات الخيول السوابق فإنه تخلص عليها وخلصها ركضاً.

وقد استشهد في هذه الوقعة من الأصحاب عدد يسير. وأما اعداء الله الحبشة فقد هلك منهم في محل المعركة ما يقارب سبعة وعشرين ألفاً سوى من

(١) قلنا: أسر ابنه مكنن وأسرت بنت توفت في القلابات في جماد آخر ١٣٠٥ (١٤ فبراير - ١٣ مارس ١٨٨٨) ولسنا نعرف إن كان له آخرون وقعوا في الأسر.

غرق منهم بالبحر المذكور والهالك في بطون تلك الأودية والأوعار والجبال. والمأسور منهم نحو تسعة آلاف من ذكر وأنثى.

وقد كان بعد انفصال المعركة سأل حمدان أبو عنجة بعض الجبرتة المسلمين الذين شاهدوا جيش الحبشة المذكور قبل المعركة عنهم. فقال له: إن عدد جيشهم المذكور مائة وأربعون ألفاً. وقد كانت هذه الوقعة بشاطئ نهر من أنهار الحبشة قريب من محل يدعى دنبيا.

ولما انتن الديم من جيف الكفار، قام حمدان والجيش منه بعد ثالثة(١) قاصداً لمدينة قندر، وهي من مدائن الحبشة العظيمة. وبعد يومين من قيامه وصل إليها، فإذا جميع من كان بها من الحبشة هربوا على وجوههم لما بلغهم ما حل براس عدال وجيشه من الهلاك والدمار. فدخل حمدان مدينة قندر ونصب على ذروتها رايات الإسلام. وأعلن بالتهليل، والتكبير فيها، والصلاة على خير الأنام.

وأتاه الجبرتة المسلمون القاطنون بتلك المدينة فأمنهم وأمرهم بالانضمام إليه فانضموا إليه وهم يقاربون الألفين.

ثم بعد الاياس من العثور على الكفار الذين هم بقندر لتفرقهم في بطون الكهوف والغيران وأقاصي بلاد الحبشة ارتحل حمدان أبو عنجة من مدينة قندر بعدما هدم كنائسها(٢) وأخذ معه جميع المسلمين المذكورين ليستمسكوا بالعرى الإسلامية، ويتأدبوا بآداب المهدية.

وانقلبت(٣) رايات حمدان أبي عنجة إلى ثغر القلابات خافقة بالنصر

---

(١) قلنا: أي بعد اليوم الثالث من المعركة.

(٢) قلنا: ذكر يوسف ميخائيل في مذكراته «غردون والسودان» التي كتبها في السجن أن الأنصار أسروا في قندر أربعة قسس وأن حمدان طلب عدم قتلهم واعطاهم الأمان ـ حقق أستاذنا الدكتور صالح محمد نور أستاذ تاريخ السودان الحديث بجامعة الخرطوم مذكرات يوسف ميخائيل تحقيقاً علمياً دقيقاً ووضع لها ترجمة بالإنجليزية. ونحن نرجو أن يرى هذا العمل النور قريباً.

(٣) قلنا: انقلبت أي عادت.

المبين والفتح والتمكين. وكان وصوله بالثغر المذكور في أوائل شهر جمادي الآخرة من السنة المذكورة[1].

وفي هذه الغزوة حصلت كرامات عظيمة، وبشائر فخيمة دالة على حصول النصر المبين والفتح والتمكين. منها ما أخبرني به بعض الثقات ممن كان في تلك الغزوة فقال لي: إن حمدان أبا عنجة مع الجيش بينما هم سائرون إذ رأوا نوراً عظيماً يبهر الأبصار نازلاً من السماء إلى الأرض أمام الجيش. فعند رؤيته نزل حمدان من على فرسه، ونزل لنزوله أهل الخيل، وسجد شكراً، وسجد معه جميع الجيش.

وقد حصل النصر عقب ذلك، والله الموفق للصحاب.

---

(١) قلنا: كان ذلك بالتحديد في ٢٠ جماد أول ١٣٠٥ الموافق ٣ فبراير سنة ١٨٨٨ والقول بأنه كان في أوائل ذلك الشهر خطأ. أنظر مهدية ٧٣/١/٢٩/١ والمؤلف لا يذكر سبب عودة حمدان إلى القلابات. ولقد ذكر حمدان في جوابه إلى الخليفة أربعة أسباب لعدم بقائه بأرض الحبشة وعودته إلى القلابات فقال: «لقد كانت أوبتنا للمركز كوعدنا للمزاعم وعدم التصريح الكافي من قبل هذا في اقامتنا بدار الحبشة والتوجه لما يلزم من الجهات ولأن الأخبار قد انقطعت من جهتنا على السيادة من مدة فلذلك حضرنا بالسلامة» ولكن واقع الأمر أن هذه الحرب لم تكن حرباً توسعية حتى يحاول هذا الطرف أو ذلك الابقاء على المكاسب الوقتية. وظروف قندر وجوها لم تكن لتلائم الأنصار. كما أن ولاء الجبرتة للأنصار لم يكن كما كان مرجوا. أنظر تفاصيل هذه الحملة وظروفها في كتاب «منطقة القضارف ـ القلابات في عهد المهدية» للأستاذ محمد سعيد القدال.

الفصل الثاني

الفصل الثاني في غزوة حمدان الثانية إلى الحبشة.

ولما عاد حمدان أبو عنجة من غزاته[1] المذكورة إلى القلابات أقام بها بقية شهر جمادي الآخرة وشهر رجب وشعبان ورمضان[2]. ثم ارتاحت نفسه لغزوة أخرى يطرز بها ديباجة مقامه، ويعلم بها عذبات اعلامه، ليرغم بالجهاد فيها أنوف أهل الكفر، ويعمل في سبيل الله تعالى البيض والسمر.

فخرج لمضي سبع من شهر شوال[3] غازياً للحبشة من طريق علقة بأرض الحبشة. ولمضي ثمانية أيام من خروجه وصل لمحل يدعى تنكل من أرض الحبشة، ووضع الديم به، وبعث البعوث يميناً وشمالاً لمناوشة الكفار، فلم يجسر أحد من أهالي تلك الجهات على محاربته، بل اذعنوا له بالطاعة والانقياد.

ثم بلغه أن بمدينة أم بشارة[4] من مدائن الحبشة رئيساً من رؤسائهم

---

(١) قلنا: يقصد: غزوته.

(٢) قلنا: يوافق ذلك ١٤ فبراير ١٠ يونيو ١٨٨٨. وقد حاول حمدان في هذه المدة تنظيم الحركة التجارية وانعاشها وكان من نتائج مجهوداته أن انتعشت الحركة التجارية إلى الحد الذي أزعج الخليفة وجعله يخشى من تسرب النقد إلى الحبشة، وكان يعتقد أن الحبش يقصدون من تعضيد الحركة التجارية «اضعاف المسلمين باخراج المعاملة منهم» وبالتالي أمر بمنع المعاملات التجارية بالنقد سواء كان ريالات أو ذهباً وأن تكون المعاملة بالمقايضة بالملح والقطن والسلع الأخرى.

(٣) قلنا: يوافق ذلك ١٧ يونيو ١٨٨٨.

(٤) قلنا: هذا تعريب من المؤلف لاسم هذه البلدة والأصل انه في لغة أهلها أم بجارة.

يقال له دجاج مششه قد جمع له هناك جمعاً. فقام حمدان ومعه الجيش وقصده.

وبعد مضي ثلاثة أيام نازل المحل المذكور. فإذا عدو الله قد هرب وفر لما بلغه أن حمدان قصده. فبعث حمدان أبو عنجة في أثره جماعة من الأنصار من ذوي الحزم والاقدام، فأبعدوا في طلبه فلم يقفوا له على أثر.

فعادوا وأخبروا حمدان بذلك.

ثم رجع حمدان من أم بشارة قاصدا للديم الذي هو محل نزولهم الأول بتنكل. وفي أثناء رجوعه أمر كلا من الزاكي طمل وعبدالله ابراهيم بالمسير لجزيرة من جزائر بحر الحبشة الأبيض وبها كنيسة عظيمة معدة لذات النقس يوحنا. وفيها جماعة من القسيسين والرهبان منقطعين في الصوامع هناك.

فتوصلوا إلى عبور ذلك البحر بأطواف الخشب لعدم المراكب إذ ذاك فتجاوزوا البحر بما ذكر ووصلوا إلى الجزيرة المذكورة، وقتلوا من وجدوه بها من الحبشة. واحرقوا الكنيسة المذكورة باشعال النيران فيها حتى عمها الضرام، وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام، وعادوا.

وبعد استكمال جيش حمدان بالمحل المذكور المدعو تنكل، أقام به خمسين يوماً لعله يحس بجمع للحبشة فيناجزهم الحرب. فلم يجد أحداً منهم يمد عنقه للحرب. بل جميع أهالي تلك الناحية ألقوا إليه زمام الطاعة.

ثم قام حمدان من المحل المذكور وقصد رباط القلابات، فوصل إليها سابع شهر ذي الحجة[1]. ثم صدرت إشارة خليفة المهدي عليه السلام بطلب حمدان أبي عنجة لتجديد عهد الزيارة والتنور بأنوار المذاكرة.

وهكذا حال سيدنا خليفة المهدي عليه السلام مع جميع العمال الذين بالجهات إذا طال عهدهم فإنه يطلب حضورهم للتنور بأنوار المذاكرة، وانتشاق نسمات أزهار المواعظ. ثم يعودون وعليهم رونق الهداية وأنوار الرشد والفلاح.

(١) قلنا: يوافق ذلك ١٥ اغسطس ١٨٨٨.

فحضر حمدان أبو عنجة إلى بقعة المهدي عليه السلام. ونال من خليفة المهدي الرضاء التام مع تنوره بأنوار المذاكرة واقتطاف أزهار الهداية من رياضها العاطرة وملازمة الصلوات الخمس خلف سيدنا خليفة المهدي عليه السلام.

ثم بعد حضور حمدان أبي عنجة لوضع أساس قبة المهدي عليه السلام وخدمته فيها تبركا بذلك واغتناما لمزيد الثواب الجزيل الذي أعده الله. هناك صدرت الإشارة الكريمة لحمدان برجوعه إلى ثغر القلابات. وفي العشرين من ربيع الأول[1] خرج حمدان قاصداً لرباط القلابات، وشيعه سيدنا خليفة المهدي عليه السلام للهجرة الشرقية أمام بحر النيل وودعه ودعا له بخير. فسار مجدا وكلما مر على قرية من القرى التي على طريق القلابات يدعون له بالنصر والتأييد والبركة لما شاهدوه فيه من العدل والكرم والرأفة. وهكذا إلى أن وصل برباط القلابات في أواخر ربيع الآخر من سنة ستة بعد الثلثمائة والألف[2]. فقام واعظاً في الأنصار وحثهم على الجهاد وبالغ في وعظه لهم في تأييد الدين والقيام بالحقوق الإلهية ولاسيما العدل في العباد.

ثم شرع في الاستعداد لحرب الحبشة، وأمر بوضع زريبة في غاية المتانة والاتساع، محيطة بالديم من جميع جهاته، فزربوها كما أمر، وجعلوا لها أربعة أبواب وأمر بأن يوضع على كل باب مدفع، وأن يكون عليها من الطوبجية والغفراء والمحافظين ما فيه الكفاية ونادى في الأنصار بكمال الاستعداد لغزو الحبشة.

فبينما هو على هذه النية الجميلة والأفعال الحسنة الجليلة إذ وافاه حمامه، وقوضت من دار الزوال خيامه. وبكته الخيول الصافنات، وكم شهدت له باعلاء كلمة الله في مواطن صادقات. وهو جدير بقول من قال وأجاد في المقال:

---

(١) قلنا: يعني ٢٠ ربيع أول ١٣٠٦ وذلك يوافق ٢٤ نوفمبر ١٨٨٨.

(٢) قلنا: يعني حوالي ٢٠ - ٢٩ ربيع آخر ١٣٠٦ وذلك يوافق ٥ ديسمبر ١٨٨٨ إلى ٣ يناير ١٨٨٩.

وقد كانت البيض القواضب في الوغى بواتر فهي الآن من بعده بتر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

رحمه الله تعالى رحمة واسعة فلقد كان من محاسن الدنيا وجمال الأيام، وطراز السير حلماً وكرماً وشجاعة واقداما وصبرا على الشدائد ومعرفة بحكاية الحرب[1]، وكم له في حروب المهدية من وقائع شهدت له بالفوز العظيم والسبق على أبطال الرجال والأجر الجسيم[2].

وقد بسطنا جميع ذلك في كتابنا «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي».

أقول سمعت خليفة المهدي عليه السلام لما أتى إليه نعي حمدان أبي عنجة وترحم عليه ودعا له بخير يقول: إنما بلغ حمدان أبو عنجة هذا الفضل العظيم لأنه رجل يحب الله ورسوله محبة صادقة، ويحب المهدي عليه السلام ويحب خليفته، ويقف عند الإشارة ولا يتعداها.

قلت: فكل من عمل بهذا العمل الصالح، أعني محبة الله ورسوله محبة صادقة، ومحبة المهدي عليه السلام ومحبة خليفته عليه رضوان الملك العلام، ووقف عند إشارة سيدنا خليفة المهدي عليه السلام ولم يتجاوزها بل عمل بها ووقف عندها فإنه ينال عند الله الفضل الجسيم، ويفوز بالرضوان الأكبر.

والله ذو الفضل العظيم جعلنا الله والمسلمين ممن تحقق بذلك، وسلك من العمل الموصل إلى رضوان الله أوضح المسالك آمين.

وكانت وفاة حمدان في السابع والعشرين من شهر جمادي الأخيرة من سنة ستة بعد الثلثمائة والألف[3].

---

(١) قلنا: هكذا في المخطوط ونحسب أن المقصود أصلاً «بمكائد الحرب» وهو تعبير درج المؤلف على استعماله.

(٢) قلنا: رثاه أيضاً الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر المجذوب بقصيدة طويلة منها:
حمدان انك طالما سمت العدى ذلا وذكرك في المحافل يرفع
ما وجهت رايات نصرك وجهة إلا وبالظفر المؤكد زيع
منك الرضا بلقاء ربك شاهرا سيف الجهاد وكل قرم نقمع

(٣) قلنا: يوافق ذلك ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩.

هذا وقد رأينا أن نتبرك بذكر المنشور الثاني الذي كتبه سيدنا خليفة المهدي عليه السلام انذاراً ليوحنا عظيم الحبشة. ولفظه: ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

إنه من عبد ربه المعتصم به خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله ابن محمد خليفة الصديق إلى النقس يوحنا عظيم الحبشة.

أما بعد، فاعلم أن الله تعالى قادر لا يعجز عن ما يريد، وقد أعد لمن كفر به وتمسك بغير دين الإسلام العذاب الشديد. وإنك عبد ضعيف لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا.

وقد حضرت هذا الزمن الذي اظهر الله فيه المهدي المنتظر، عليه السلام، خليفة نبينا محمد خير الانام، المرسول لكافة الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وكاتبك المهدي، عليه السلام، وحثك على الدخول في ملة الإسلام فحصل منك الصدود والاعراض جحوداً للحق وعدولاً عن طريق الرشاد.

ثم نحن قد كاتبناك قبل هذا بمثل ما كاتبك به المهدي عليه السلام وحذرناك عاقبة الاعراض عن إجابة داعي الملك العلام، واعلمناك بأنك إن لم تعمل طبق أمرنا فلا بد من حلول جيوش الإسلام بديارك ومناجزتك الحرب وقتل رجالك. فما حصلت منك إلى الله انابة ولا لداعيه إجابة، حتى غزا المسلمون في وسط بلادك فخربوا الديار وقتلوا الرجال واحرقوا الكنائس والمدن الكبار وسبوا[1] النساء ويتموا الأطفال وعادوا غانمين حائزين لرضاء ذي الجلال. وصار اثم من هلك من اتباعك عليك لأنك راعيهم. ولو أجبت داعي الله لاجابوا معك تبعاً إليك.

---

(١) قلنا: هنا «وسبوا» وفي المنشور المطبوع على الحجر «وسلبوا» وما عليه المؤلف هو الصواب.

والحاصل: إن ما مضى فقد فات، وما زلنا نريد هدايتك فيما هو آت ودخولك في دين الإسلام وانتظامك في سلك أصحاب المهدي عليه السلام. ومن ثم حررنا هذا ثانياً إليك قبل إعادة الكرة عليك. فإن رحمت نفسك بالدخول في ملة الإسلام والانتظام في سلك أصحاب المهدي، عليه السلام، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، نطقا بلسانك واعتقاداً من جنانك، واقمت بجهتك شعائر الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من الأحكام، فاعلم أنك تكون منا وإلينا، لك ما لنا وعليك ما علينا، ونكف عنك المحاربة وتتصل بيننا وبينك في الله المحابة ويغفر الله لك جميع الآثام التي وقعت منك في زمن الكفر بحرمة الإسلام.

وإلا بأن كنت لم تزل على اعراضك عن إجابة داعي الهدى واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم أنك تصير من الهالكين بقدرة رب العالمين، إذ لا بد من حلول جيوش الإسلام بديارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرك وقتل كل من يكون معك على اعراضك، فإن أمر المهدية هذا مؤيد من عند الله وقائم بمعونة الله، فلا طاقة لك بمصادمته ولا قدرة لك على مقاومته. فلا تغتر بكثرة جموعك العارية عن معونة الله، فإن الله غالب على أمره وهالك اعداءه[1] بقهره.

وهذا ما لزم انذارك به شفقة عليك وقطعاً لحجتك عند بارئك يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً. فإن قابلت ما فيه بالطاعة والامتثال تفز بالسلامة في الحال والمآل، وإلا فالله أكبر عليك ولا بد من وقوعك في القبضة وخراب دارك وزوال ملكك بعون رب القدرة. وفي هذا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ولا حجة لك بعده عند الله يوم يقول لجهنم هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد!

---

(١) قلنا: اعداؤه في المنشور المطبوع بالحجر وفي نص المؤلف، والصواب أن يقول أعداءه.

ولترد لنا منك الإفادة بما تختاره من اعراض وإجابة. وعلى من اتبع الهدى السلام.

١٣٠٥هـ[1].

(١) قلنا: أنظر المنشور المطبوع بالحجر في المهدية ٨/١/٨/ وانظر أيضاً المهدية صادر رقم ٣ صفحة ٣٥. وترد الرسالة بتاريخ السنة في كل المصادر. ومن الأرجح أنها كتبت حوالي ربيع أول أي في نفس الشهر الذي تحرك فيه حمدان إلى القلابات. وذلك يوافق ١٧ نوفمبر- ١٦ ديسمبر ١٨٨٧.

الباب الثالث

الباب الثالث في بيان ولاية الزاكي طمل على ثغر القلابات وما أجراه الله جلت قدرته على يده من قتل يوحنا ملك الحبشة وما يتبع ذلك، وفيه فصلان.

تمهيد

ولما استأثر الله بعبده حمدان، ونعاه ناعي الفضل والإحسان، عظم على الأنام مصابه، وبدا على وجه الأفضال اكتئآبه، فاسترجع الأنصار الذين هم برباط القلابات، وصبروا على هذه المصيبة، وثبتوا غاية الثبات، وكتبوا لولي أمر الجميع سيدنا خليفة المهدي عليه السلام بذلك مترقبين ما يصدر من اشارته رضي الله عنه في تولية من يكون به قوام الدين واصلاح العباد بذلك الثغر.

وبعد وصول نعي حمدان أبي عنجة إلى خليفة المهدي عليه السلام استرجع لمصابه وذاكر الناس ووعظهم بمواعظ بليغة حتى اطمأنت النفوس، ورضيت كل الرضا بقضاء الملك القدوس.

ثم ارسل قاضي الإسلام أحمد علي ومعه بعض من الأصحاب[١]، أهل الصدق والديانة والأمانة ومعهم الأوامر الكريمة بولاية الزاكي طمل على ذلك الجيش الذي بثغر القلابات، وتفويض أمر الجيش المذكور إليه، وأمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وغير ذلك من المواعظ البليغة المؤثرة في النفوس.

فخرجوا مجدين السير إلى أن وصلوا برباط القلابات. فوجدوا جيوش الحبشة وملكهم يوحنا قريبين من أرض القلابات لمناجزة الحرب. ففي الحال سلموا الأوامر التي فيها ولاية الزاكي طمل له فبايعه جميع الجيش بقبول

(١) قلنا: كان هذا الوفد يتكون بالإضافة إلى أحمد علي من عثمان أحمد وابراهيم عالم واحمدي محمود واحمد حمدان وحسن حسين والبخيت هارون واحمد الطليعة وكان ارسال مثل هذا الوفد لحل أزمات الأقاليم من التقاليد المألوفة في المهدية.

وانشراح صدر ورضا. وتلوا على الأصحاب منشورات خليفة المهدي عليه السلام، ففرحوا وامتثلوا واستبشروا واتفقت كلمتهم وانعقدت نيتهم على متابعة الزاكي طمل والقيام معه على نصرة الدين.

وحمدوا الله على ذلك لكون الزاكي المذكور من أهل العفة والرأفة والشجاعة والإقدام، والمعرفة التامة بمكائد الحرب ولاسيما وقد شملته أنظار سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وصدرت أوامره الكريمة بتوليته عليهم فاستبان بذلك فضل الزاكي طمل. وإنه جدير بالولاية على الجيش المذكور.

وانتظمت أمور الجيش بذلك الثغر، واستقامت الأحوال. فلسان حال الأنصار في رباط القلابات ينشد في تولية الزاكي قول الشاعر:

إذا مات منا سيد قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول

وبينما الزاكي في الاستعداد والتأهب لحرب الحبشة إذ أقبل يوحنا عظيم الحبشة في جيوش لا يحصيها إلا الله، قاصداً رباط القلابات للحرب.

وكان ما سنذكره من أمر يوحنا وما جرى له من الهلاك.

الفصل الأول

الفصل الأول في وقعة الحبشة، مع الزاكي طمل، الأولى وهي التي أهلك الله فيها يوحنا بما فعله المرحوم حمدان أبو عنجة بالحبشة عند غزوتيه اللتين ذكرناهما آنفاً ولاسيما غزوته الأولى من قتل رجاله، وأخذ أمواله، وخراب دولته، وكسر ناموسه وصولته.

أخذه المقيم المقعد، واستولى عليه المزعج المكمد وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأرسل إلى جميع مدائن مملكته على اتساعها المعروف، وامتدادها الموصوف، باستنفار الجيوش. وجمعهم وأخذ في الاستعداد. وحشد وجمع واستعد استعداداً لم يعهد مثله في مملكة الحبشة وسار[1] بنفسه وعشيرته واعيان جيوشه وجميع جيوشه وكل دجاج ودجال كراس الولا وراس عدال وغيرهم من مشاهير شجعان دولته والأبطال الممارسين للكريهة والمصطلين بنار الحرب يوم النزال. وسولت له نفسه الخبيثة أن يجعل القلابات محل اقامته وقاعدة لمملكته مما يلي أرض الإسلام ويبني فيها الكنائس بدل المساجد ويسمع الناس فيها أصوات النواقيس بدل التسبيح والتقديس. ويبث اياديه في أرض الإسلام يميناً وشمالاً اماما وخلفا، حتى إن شيطانه المارد، وقرينه الذي هو للربوبية جاحد سول له الوصول لبقعة المهدي عليه السلام، لاطفاء نور الإسلام، ويأبى الله ذلك فقد أهلكه الله تعالى على غاية من الحسرة والندامة والاكتئاب وحق عليه قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾[2].

---

(١) قلنا: في الأصل «وثار» ولكن السياق يقتضي «وسار».

(٢) قلنا: سورة يونس الآية ٥٤.

والحاصل له على ذلك أنه أراد أن يغسل العار الذي اعتراه، واستنزل عزه من عالي ذراه من توغل المرحوم حمدان أبي عنجة ودخوله في أرض الحبشة حتى أوطأ جيشه وخيله أرضاً لم يسكنها قبل إلا كافر، ولم يطأ للجيوش الإسلامية فيها خف ولا حافر. .

ثم بعد استكمال استعداده، وبلوغه مقصده في تكثير جيوشه وامداده، أقبل في جيوش وأمم كسواد الليل أو دفع السيل، قاصداً لرباط القلابات. فمن تراكم جيوشه وسدهم لوجه البسيطة يتخيل للناظرين أن الأرض من تماوجها بهم تسير، والجبال تمور. وثار من وقع حوافر الخيل غبار أوهم كسوف شمس النهار، وعود ظلام الليل الحاجب للأبصار. فهم جيوش شرقت منهم المسالك والمذاهب، وأجدبت عليهم من الكثرة المراتع والمشارب، واثقاً بطوله ساكناً إلى قوته وحوله، يقوده الشيطان حتى أوقعه في مهاوي الهلاك بأشطان.

ولما تحقق للزاكي طمل قرب يوحنا ملك الحبشة من الرباط استعد مستعيناً بالله على مناجزته وجمع أولياء الله على حربه بثبات عزم وصدق نية، ونفوس مسارعة لنصرة الإسلام، راضية مرضية في ليوث من الأنصار يرتاحون للطعان ومجالدة الاقران، واستعمال البيض والسمر وخوض غمرات المنايا الحمر، فكانوا مع عاملهم المذكور يداً واحدة على دفاع اعداء الله، يشدون في مواقف الكريهة أزره، ويمتثلون نهيه وأمره.

ثم زحف يوحنا مسارعاً لهلاكه وقد غصت الربا والوهاد بجيوشه، وامتلأت انحاء الأرض بجموعه وجيوشه، وانهالوا على رباط القلابات انهيال الكثيب المهيل. وبلغوا من الكثرة غاية ينقلب البصر دونها خاسئا وهو كليل. ومعهم من الخيول والبغال وغيرهما من الدواب ومن الأسلحة النارية، والاستعدادات الحربية، ما لا يمكن حصره. وزحفوا على وجه البسيطة كالجراد المنتشر. وسالت جموعهم على الأودية كالماء المنهمر حتى ضاقت بهم وقت السير الطرقات، وغصت منهم الفلوات. فصاروا يطلقون أمامهم النيران لازاحة الحشائش والأشجار، وتسهيل السير إليهم بين تلك الأوعار.

قلت: في اطلاق النار أمامهم شؤم عجله الله إليهم في الدنيا باحراقهم بنيران الأسلحة النارية المطلقة عليهم من أيدي الأنصار. ونار الآخرة أشد!

وقد صارت تلك النيران مع ما ينضم إلى ذلك من النيران الموقدة ليلاً لتسوية مأكولات الجيش الحبشي ترى من مسافة ثلاثة أيام لشدة سطوعها في جهة العلو.

ولما كان بينهم وبين رباط القلابات مسافة ساعتين، ثار الغبار من جهتهم حتى سد الأفق، وعم أنحاء الأرض، وتراكمت ظلماته على من كان بالرباط المذكور. حتى إن الإنسان لا يبصر ما حوله من شدة الظلمة الغبارية.

وإن كان غبار جيشهم قد رؤي من مسافة بعيدة لكن بعد قربهم المذكور اشتدت ظلماته كما ذكرناه.

وعندما شاهد الأنصار ذلك استبشروا بلقاء الله ذي الجلال. وقام الزاكي فيهم محرضاً للمؤمنين على القتال. فاستعدوا للقاء باذلين ارواحهم وفاء بحق البيعة التي عقدت على هام الجوزاء عقودها، وضربت على الفرقدين بنودها واثقين بإحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة.

وقد نازل يوحنا رباط القلابات في جيوش سايقين الوحوش أمامهم، من كثرة الجيش كثرة لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى حتى الجواميس. ولذلك وجدت تلك الحيوانات المتوحشة بعد انفضاض الحرب مقتولة بالرصاص مع الحبشة الهالكين. فمن شدة التحام الحبشة وتراكمهم لم تجد تلك الحيوانات المتوحشة مثل الجواميس وغيرها منفذاً للتخلص من اصابة الرصاص. وهذا أكبر دليل على كثرة الحبشة وتراكمهم عند الملحمة.

واحاطوا بالرباط المذكور من كل جانب حتى صار في وسطهم كالخاتم الملقى في الفلاة. وذلك يوم السبت سادس شهر الله رجب من سنة ست بعد الثلاثمائة والألف.

وكان اللقاء المذكور عند طلوع شمس ذلك اليوم. فشرعوا في ضرب الأنصار بالأسلحة النارية: المدافع ثم البنادق على اختلاف أشكالها وتباين

أصنافها من رامنتون ومرتين وغير ذلك، حتى ارتجت الأرض من قوة الضرب بالأسلحة النارية فصار لها دوي عظيم من ترادف اصوات الأسلحة النارية المتصلة من غير فاصل ما من مدافع وغيرها، حتى صارت لذلك أصوات هائلة تكاد تنتزع لشدتها القلوب.

والأنصار إذ ذاك على غاية من الثبات مستقبلين تلك الحالة المهولة بقلوب اشربت حب الدين، وملئت بالعزم والحزم واليقين.

ثم أمر الزاكي طمل باطلاق المدافع على الحبشة فاطلقت عليهم متتابعة الرمي. واشتد الكرب، وعظم الخطب. وماجت الحبشة وتزاحفوا حتى ملأوا أفواه بنادق الأنصار. فعند ذلك أمر الزاكي بامطار سحائب الرصاص عليهم فأمطروا على الحبشة من الرصاص ما يكاد يستر الشمس. وتعاقبت الأسلحة النارية بين الجيشين، واتصلت أصواتها بين الفريقين. وماجت تلك الدائرة المحيطة. واشتد الحال إلى الغاية حتى كأن السماء انطبقت على البسيطة. وحجبت الشمس فلا يشرق سناها. ولا تسمع من يقول في ذلك الوقت أنه رآها. فكانوا يومئذ في ظلمات ثلاث، ظلمة الدخان المنفصل من الأسلحة النارية، وظلمة الغبار المتراكم في الجو، وظلمة التحام الجيشين واتصالهما.

وانتشب الحرب واديرت بينهم كؤوس الطعن والضرب إلى أن حمي الوطيس، واختلطت الرؤوس بالرؤوس وتداعت الصفوف وعزلت العوامل إلا البنادق والرماح والسيوف. واشتدت ثورات العجاج حتى ملأ الفجاج وستر العيون عن الاشباح، فلم تعرف السيوف من الرماح. وقامت القيامة على الكفرة، وتوالت عليهم صواعق الرصاص والقوارع، وأحاطت بهم رياح المنون الزوابع حتى لم يدر من الرمي بالأسلحة النارية والطعن بالرماح الخطية والضرب بالسيوف الهندية أصوت أنواء أم صب دماء وظلمة ليل أو دخان البارود المتراكم مع النقع الذي أثارته آثار الراجلين وقت الملحمة وسنابك تلك الخيل. واستمر الحرب بينهم على هذا الحال الشديد والخطب الذي يشيب ناصية الوليد مقدار خمس ساعات فلكية بحيث لم يكن بين ذلك فاصل

أصلاً، بل أصوات الأسلحة النارية متصلة بدون فاصل. والرماح والسيوف عاملة غير معلقة عن العمل ولا ملقاة.

ثم هبت رياح النصر الغريب، ولمعت بوارق الفتح القريب، فأنزل الله نصره المبين وشفا صدور قوم مؤمنين. فولى الحبشة منهزمين أقبح هزيمة لهلاك ملكهم يوحنا في المعركة. وهلك معه أيضاً من رؤساء دولته ووزرائه كمثل راس هيلا مريم ابن أخ(١) الملعون يوحنا وغيره من عظمائهم.

وأما الهالك من سائر الحبشة في تلك الملحمة الكبرى فمما لا يحصيه إلا الله تعالى.

ولقد انتنت الأرض من جيفهم الخبيثة وجيف خيلهم وبغالهم المتراكمة على بعضها من وقع الرصاص على الجميع وقت الحرب.

ثم أخذوا الهالك يوحنا وأدخلوه في صندوق وحملوه واشاعوا أنه حي ما به شيء سوى جرح بالرصاص خفيف في يده وفروا به لا يلوي أخ على أخيه بعد أن خلفوا في محل الملحمة من الهالكين معظم خيارهم ورؤساء مقاصدهم وأوطارهم.

وبعد انفصال الحرب أمر الزاكي طمل بـدفن الشهداء الـذين تحلت

(١) قلنا: في الأصل «ابن أخي». ـ انظر وصف هذه المعركة في مصادر المهدية المعروفة وانظر تفصيلاتها في الفصل الرابع من كتاب «منطقة القضارف ـ القلابات في عهد المهدية» للاستاذ محمد سعيد القدال. وانظر أيضاً مهدية ١/١/٤/١٣/١٧/٨٨. وانظر شقير (طبعة بيروت ١٩٦٧) ١٠٧٧ ـ ١٠٨٣ وتاريخ الواقعة ٦ رجب ١٣٠٦ الموافق ٨ مارس ١٨٨٩ ـ يروي المؤلف تفاصيل المعركة بحذر، فهو لا يذكر أن الحبش انتصروا على الأنصار في بداية المعركة مع أنهم اخترقوا صفوف الأنصار وتقدموا حتى دخلوا الزريبة من جهة أحمد علي. وقد أصيب يوحنا بضربة فاختل جيشه وأدى ذلك إلى انهزامه. ويذكر سلاطين بعض تفاصيل مقتله فيقول: عندما تبين ليوحنا أن قبيلة الأمهرة أظهرت شجاعة فائقة في القتال وأنهم اخترقوا الصفوف بينما أظهرت قبيلة التقري الضعف قام بنفسه يتقدم الصفوف الأمامية ليستحث قومه على القتال، فتقدم محمولاً على كرسي وحوله مجموعة من اتباعه. وعندما لاحظ الأنصار الملابس الامبراطورية الزاهية والحشد الملتف وجهوا نيرانهم إلى جهته فاخترقت رصاصة ذراع يوحنا ودخلت صدره وجرحته جرحاً مميتاً. وأحس يوحنا بدنو أجله فاستدعى ابنه الراس منقشا وأوصاه بالتراجع إلى بلاده فانسحب الجيش من المعركة بارتباك شديد.

بعسجد دمائهم النحور، وحفت بهم الولدان والحور، وهم عدد يسير، اكرمهم الله بالشهادة. على أن ذات جيش الأنصار بالنسبة لجيش الكفار في غاية القلة، إذ جميع من فيه من أهل الأسلحة النارية لم يتجاوز السبعة عشر ألفاً وذلك ما عدا أهل الرماح. والجميع بالنسبة لجيش الحبشة المذكور كخاتم في قلاه.

ولذلك اخبرني قاضي الإسلام أحمد علي أنه بلغه أن يوحنا ملك الحبشة لما نازل رباط القلابات ودنا منه ارسل من يأتيه بخبر الأنصار. وقال للذي ارسله: أنظر هؤلاء ـ يعني الأنصار. أهم إلى الآن بالقلابات. أم هربوا لجهتهم التي أتوا منها؟. يعني بقعة المهدي عليه السلام.

فلما عادت رسله وأخبروه بوجود الأنصار بالرباط، وأنهم مستعدون للحرب، أمر باطلاق المدافع لأجل البشرى بوجود الأنصار. وإنما فعل ذلك اغتراراً بكثرة جيوشه وإعجاباً بنفسه وبقوة جيوشه. وما درى الخبيث عدو الله أن النصر من عند الله، لا بعدد ولا بعدد. قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١).

ومن المعلوم أن جيوش الإسلام لا يقاتلون بكثرة وإنما يقاتلون بهذا الدين الذي أكرمهم الله به فحينئذ لا فرق في ذلك بين كثرتهم وقلتهم بشاهد قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(٢).

ولكن الذي حمل يوحنا على هذا التبجح والافتخار حتى أنه أمر باطلاق المدافع بشرى بوجود الأنصار هو إعجاب بنفسه، والإعجاب بالنفس من المهلكات كما قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من المهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه».

فلذلك أهلكه الله وعجل بروحه إلى النار، وبئس القرار. فقد كان

---

(١) قلنا: سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٢) قلنا: سورة غافر الآية ٥١.

شديد العداوة للمسلمين والإسلام. فقتله من أعظم الفتوحات التي تؤرخ في الإسلام، لأنه كان مجتهداً في اطفاء نور الإسلام. فالحمد لله على تطهير الأرض منه، فهنيئاً لنا معاشر الأمة المحمدية بهذا النصر المبين الذي أعز الله به الدين، وقمع به الكافرين، وبيض به وجوه المؤمنين، فقد صدق الله تعالى لأوليائه الوعد، وعلى اعدائه الوعيد. وحكم بإبادة عبدة الطاغوت المبدي المعيد.

فما أولى يوم وقعة الحبشة المذكورة التي أهلك الله فيها الملك يوحنا بأن يتخذ عيداً وأن يسطر في جبين الدهر تاريخاً جديداً، إذ لم يبلغنا على كثرة التواريخ، وكتب سير الأقدمين والذين دونوا في الملاحم جاهلية وإسلاماً في أمر الحبشة أنه حصل لهم ما يقارب هذا، فضلاً عمّا يماثله.

أقول: وهذا شيء خبأه الله في مكنون غيبه ليظهره على عهد سيدنا خليفة المهدي عليه السلام. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني في بيان وقعة الزاكي طمل الثانية مع الحبشة في شاطئ نهر اتبره.

ولما فرغ الزاكي من دفن الشهداء الذين استشهدوا في الوقعة الأولى كما ذكرناه، أمر بالاستعداد لاقتفاء آثار الحبشة لاستئصالهم قبل هروبهم إلى بلادهم. فخرج في جيش الأنصار مقتفياً لأثرهم صبيحة يوم الاثنين ثالث يوم الوقعة[1] التي هلك فيها يوحنا. وجدوا في طلب الحبشة قبل أن ينفض الأنصار عنهم متراكم الغبار، ويزيلوا ما عليهم من ذلك النقع المثار.

فادركوا الحبشة بليلة الثلاثاء تاسع رجب[2] المذكور، وهم نازلون بشاطئ نهر اتبره وقد ملأوه بخيلهم وسدوا انحاءه برجلهم، فنازلوهم قريباً منهم. ولما احس بهم الحبشة أرسلوا لهم بعضاً من جيشهم على الخيول فناوشوهم في تلك الليلة القتال. فحمل عليهم الأنصار فانهزموا.

ولما كان صباح يوم الثلاثاء تاسع رجب وقع المصاف بين الزاكي ومن معه من الأنصار وبين الحبشة بشاطئ نهر اتبرة. وذلك بعد انفصال الحبشة من محل خيامهم وموضع نزولهم والمامهم.

وانتشب القتال بينهم بالأسلحة النارية من الجيشين، واشتد الخطب، وأديرت على أعناق الرجال رحى الحرب ووقع الالتحام، وتلاطمت أمواج الحمام، حتى كأن تلك المعركة سماء غمامها الدخان وبروقها بريق البيض ولمعان

(١) قلنا: يوافق ذلك ١١ مارس ١٨٨٩.

(٢) قلنا: يوافق ذلك ١٢ مارس ١٨٨٩.

حدود السنان، ورعودها أصوات المدافع وصواعقها هاتيك الجلل والرصاص التي أهلك الله بها اعداءه. فليس لها عنهم دافع. واستمرت الحرب نحو ست ساعات. ثم أنزل الله نصره على المؤمنين، وزلزل أقدام القوم الكافرين، فانهزموا أقبح هزيمة. وتركوا عددهم واسلحتهم وخيولهم وبغالهم وجميع خيامهم ومهماتهم واثقالهم ليتخففوا للهرب حتى أنهم تركوا النساء والأطفال وذهبوا هاربين في بطون تلك الأودية والشعاب وظهور الفيافي والهضاب.

ولم يكن لهم هم إلا طلب السلامة بالفرار وارتكاب ذلك العار.

واقتفى الأنصار أثرهم يقتلونهم ثلة بعد ثلة. ولم يتخلص من القتل إلا من كان راكباً على متون السوابق، أو المجد في الهرب والسابق، حتى أن بعض الحبشة لما أرهقهم طلب الأنصار وخافوا انتشابهم في تلك الأظفار ألقوا نفوسهم في نهر أتبرة انتقالاً من موت إلى آخر. والرصاص على ظهورهم والسيوف على أقفيتهم والرماح في كلاهم حتى امتزج ماء ذلك النهر المحاذي لمحل الوقعة بالدم.

أخبرني من شهد تلك الوقعة أن بعضاً من الأنصار الذين تأخروا بعد هذه الوقعة بديم الكفار لجمع الغنائم وإن كان ذلك شيئاً خطيراً حفروا لهم أماكن حول ذلك النهر لجموم الماء لهم فيشربون منه لكون ماء ذلك النهر لا يمكن شربه من شدة امتزاجه بدم القتلى على حد قول الشاعر:

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل

وعمهم الفناء حتى امتلأت الأرض من جيف قتلاهم سوى من كان جريحاً وعلى الأرض من هول ذلك الحرب طريحاً، ولم يصل منهم إلى بلده إلا الشريد الذاهب في بطون الأودية والمختفي تحت الأوعار.

وأحاط الأنصار بمحل نزول الحبشة المذكور واستولوا على جميع ما فيه من أسلحة نارية لا يعلم عددها إلا الله من مدافع وبنادق على اختلاف أشكالها وتباين أصنافها وجباخين وخيول وبغال وحمير وخيام واستعدادات ومهمات وأدوات وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله.

وقد هلك في هذه الوقعة جل من كان سلم من الوقعة الأولى من رؤساء الحبشة. وفر راس الولا مع كونه كان جمرة من جمرات الحبشة ولاسيما على دولتي الإنكليز وايطالية وحكومة الترك، فإنه قد دوخهم بالحروب وهزمهم مراراً كثيرة فكانوا يخشون بأسه أشد الخشية لأنهم باشروا حروبه وهو يهزمهم في عدة وقعات ويأخذ أسلحتهم وجبخاناتهم بعد قتل رجالهم، فخذله الله.

وبعد انفصال الحرب أمر الزاكي بتفقد الهالكين من الحبشة للوقوف على حقيقة الرؤساء الهالكين منهم بدلالة من له المعرفة التامة برؤساء الحبشة ولاسيما عدو الله يوحنا. فوجدوا عدو الله الهالك يوحنا قتيلاً من الوقعة الأولى كما ذكرناه في داخل صندوق مشمع لكيلا يطلع على حقيقته. والصندوق المذكور في داخل خيمة، وعلى صدر يوحنا صليب من ذهب كان يعبده من دون الله، وبعنقه العنبة التي هي من شؤون ديانتهم الباطلة. وعليه من الحلل والملابس الفاخرة الملوكية ما ينادى عليه بأنه ملك الحبشة، وهو مطلي بأنواع الأدوية المركبة من أجزاء الحكمة لئلا يتسارع إليه الفساد والتمزيق إلى أن يواروا جثته الخبيثة بالكنائس على عادتهم في ذلك.

فأمر الزاكي باخراجه من داخل الصندوق فأخرج. وأمر بحز رأسه، وأن تعلق على قناة. فحزوا رأسه وعلقوها على قناة. فاستبشر بذلك الأنصار، وفرحوا بذلك النصر الذي يكون طرازاً على اعلام الجيوش الإسلامية على ممر الاعصار.

وتلي لسان الحال في ذلك اليوم المشهود آقول منجز الوعود: ﴿وما ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أنفُسَهُم فما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلهَتُهُمُ التي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وما زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وكذلك أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إنّ في ذلك لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له النَّاسُ وَذَلِكَ يومٌ مشهُودٌ﴾[1].

---

(١) قلنا: سورة هود الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

ثم أرسل الزاكي رأس الهالك يوحنا ومعه بعض من رؤوس رؤساء دولته كرأس راس هيلا مريم وغيره إلى سيدنا خليفة المهدي عليه السلام، اعلاناً بنصرة الدين وقطع دابر القوم الكافرين. ومع تلك الرؤوس تاج الملك يوحنا، وهو من ذهب مرصع بأنواع الاحجار الثمينة من الياقوت والزمرد والزبرجد والألماس، وهو مصنوع على وضع غريب وشكل عجيب[1].

ومع الرؤوس أيضاً خواتيم الملك يوحنا: منها ما هو معد لختم الكتب ومنها ما هو معد[2] للبسه في اليد. ومع ما ذكر اغلب ملبوساته المطرزة بأنواع الجواهر المزركشة بالحلية الذهبية التي يلبسها من لا خلاق له في الدار الآخرة.

وارسل أيضاً بعضاً من خيامه الملوكية ونحاساته التي تحرك بالضرب عند الاشعار بأحوال الحرب، وخيمة الملك يوحنا المعدة لجلوسه فيها.

وقد أخبرني من اثق به: أن الزاكي طمل لما نظر إلى الخيمة المذكورة وهم في حالة الحرب أقسم بالله أنه لابد من وصوله للخيمة المذكورة أو يقتل دونها. وقد اصطلى بنار الحرب إلى أن وصل إلى تلك الخيمة، وأخذها وهي من الخيام الملوكية. واظنه، والله اعلم، أنه أرسلها لخليفة المهدي عليه السلام من ضمن آلات يوحنا الملك، ليشاهدها المسلمون وغير ذلك من آلاته الملوكية يشاهدها المسلمون ليعتبروا ويعلموا هوان الدنيا على الله وسرعة زوالها وتبدل أحوالها، وارتطام أبنائها في أوحالها.

هذا وقد استشهد في هذه الوقعة من الأنصار من اكرمه الله بالشهادة. وقد هلك من أعداء الله في هذه الوقعة ما لا يحصر، وعمهم الفناء فلم ينج

---

(١) قلنا: أخذ الزاكي تاج الامبراطور وسيفه وأرسلهما إلى الخليفة. وكانت إعادة هذا التاج من شروط الامبراطور منليك التي وضعها للوصول إلى صلح مع الخليفة. كذلك أرسل الزاكي بغلة يوحنا وقد أهداها الخليفة إلى السيد محمد المكي اسماعيل بسرجها وسائر معداتها. وأرسل أيضاً خيمة الامبراطور. ويقول محمد عبد الرحيم إنه شاهد الخيمة وقد نصبها الخليفة لنفسه قبيل معركة كرري.

(٢) معه: الأصل، قلنا: عدلناه إلى: معد.

منهم على كثرتهم التي لا يعلمها إلا الله تعالى إلا القليل الذاهب في بطون الأودية، والمختفي تحت الأشجار والأوعار. فرجعوا إلى بلادهم متفرقين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً. وقد صدق في الحبشة المثل المشهور: «خرجت النعامة تطلب لها قرنين فرجعت بلا أذنين».

خرجوا من بلادهم طلباً للثأر وطمعاً في الانتصار فقتل ملكهم وجميع رؤساء دولتهم وعمهم الفناء قتلاً وغرقاً. والذي سلم من المقتلة وعاد إلى بلاده عاد على اسوأ حالة وأقبح صفة. وهكذا البغي يفعل بأصحابه.

وقد عاد الأنصار إلى رباط القلابات ومعهم من الغنائم ما تعجز عن احصائه أنامل الكتاب، وتكل عن تعداده أفهام الحساب.

أخبرني الثقة أن الجارية الحبشية بيعت برباط القلابات في هذه الواقعة بريالين وبثلاثة، والرائعة الجميلة بتسعة ريالات إلى عشرة. والحمار بيع بقرشين حتى أن العشرة من الحمير بيعت بريال فقط. وليقس ما لم يقل. وهذا أوضح برهان على كثرة تلك الغنائم كثرة لا يحصرها ذو بيان.

هذا ولما تحقق لراس عدال[1] هلاك يوحنا وخراب ملكه وانتشار جمعه من سلكه، تزلزلت قدمه واشفق من أن يستباح دمه. فكتب إلى الزاكي طمل يستعطفه ويسأله العفو والصفح عنه. وتلطف في كتابه المذكور إلى الغاية وأظهر الانقياد والإنكسار والميل إلى متابعة المهدية. وفيه كلام يدل على جزعه ورهبته من سطوة المهدية.

وذلك لان راس عدال هذا كان باشر حروب المهدية، ورأى من شدة البأس ما هاله، وقطع من شدة الخوف أوصاله. وما تخلص من الانتشاب باظفار حمدان أبي عنجة إلا بعد اللتيا والتي كما قدمنا ذلك في غزوة حمدان إلى أرض الحبشة.

ولذلك لم يشهد هذه الوقعة التي أهلك الله فيها النفس ونصح النفس

(١) قلنا: هذا هو المقصود ومن المخطوط ينص على «ادال».

وحذره سطوة أنصار الدين، ووصف له شدة حربهم وما شاهده من ذلك حتى أنه قال للنقس ناصحاً: إذا أردت أن تعلم حقيقة حرب الأنصار فاقصد لك بيتاً وأشعل فيه النيران ثم مر بجيشك بالدخول في تلك النيران فإن دخلوها وخاضوها حتى أطفوها فهم يقاتلون الأنصار وإلا فلا تعجبك كثرة جيشك فإنهم لن يثبتوا لحرب الأنصار، وغير ذلك من النصائح. فلم يقبل يوحنا من راس عدال فكان حالهما كما ذكر أخو هوازن حيث قال شعراً:

نصحت لقــومي عنـد منعــرج اللوى فلم يستبينـوا النصح إلا ضحى الغـد

وقد حصلت في وقعة الحبشة هذه كرامات عجيبة وخوارق غريبة منها أن كثيراً من الأنصار شاهدوا ذات خليفة المهدي عليه السلام أمـام جيش الأنصار حالة الحرب المذكورة. وسمعوا صوت (أم بايا)[1] أيضاً في ساعـة الحرب سماعاً محققاً لا شك فيه.

ومنها أن بعضاً منهم رأى رايات بيضا بأيدي رجال نازلين من السماء يقاتلون الكفار. ومنها ما أخبر به بعض الثقات، وكان إذ ذاك بـالقضارف قاصداً نحو القلابات، فقال: بينما أنا مع بعض الأخوان نتحـدث ليلاً إذ سمعت التهليل وصوت أم بايا من جهة العلو ذاهباً ذلك الصوت إلى جهة رباط القلابات سماعاً محققاً. ثم أردت زيادة التوثق والاحتياط فقلت للاخوان الذين معي ساعتئذ: هل تسمعون شيئاً الآن؟ فقالوا جميعاً: نحن الأن نسمع التهليل وصوت أم بايا سماعاً محققاً. فقلت لهم: وأنا الآخر كذلك.

فتعجبنا من ذلك غاية العجب. ففي صبيحة تلك الليلة كانت الوقعة التي أهلك الله فيها يوحنا وجيوشه.

ومن أكبر تلك الكرامات ما ذكره سيدنا خليفة المهدي عليه السلام في منشوره الذي ذكر فيه أموراً غيبية منها مسألة الحبشة. حيث قـال في ذلك

---

(١) قلنا: يقصد الامباية وهي بوق حرب عظيم من سن الفيل. وكأن صوته يسمع من بعـد بعيد. وهو من العلامات الخاصة بالخليفة عبدالله الدالة على مكانته العظيمة ويكاد أن يكون بوق القائد العام للجيش.

المنشور: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أن أعداءه الحبشة إذا حضروا للحرابة تكون أيديهم مغلولة إلى أعناقهم. وإننا منصورون عليهم[1].

فانظر رحمك الله إلى هذه الكرامة الجلية. وإن ما أخبر به خليفة المهدي عليه السلام على طبق البشارة النبوية من النصر على الحبشة، كيف حصل حصولاً لا مرية فيه. إذ لو لم يأت الحبشة على الصفة التي ذكرت في المنشور من أنهم إذا حضروا للحرابة تكون أيديهم مغلولة إلى أعناقهم لما كان يحصل هذا النصر العزيز. فالنصر عليهم وهم على ما هم عليه من الكثرة البالغة إلى الغاية التي لا يحيط بها التفضيل مع تلك القوة والاستعدادات التي ذكرناها سالفاً أول دليل على أنهم أتوا على تلك الصفة التي ذكرت في ذلك المنشور. وهذه كرامة أخرى أيضاً.

ومن المعلوم أن ذلك المنشور إنما حصل قبل وقعة الحبشة هذه بمدة مديدة فما أعظمها من كرامة!

وعندي أن قتل ذات يوحنا ملك الحبشة على يد عامل من عمال خليفة المهدي عليه السلام من أكبر الكرامات. ووجه ذلك ما أظنه يخفى على من نور الله بصيرته.

هذا ومن ابدع ما يسطر في هذا الشأن وأقوى شاهد على ما ذكرناه وبرهان أن خليفة المهدي عليه السلام كان أمر الأنصار وهو على المنبر بليلة الثلاثاء التي كانت صبيحتها حصلت وقعة اتبرة، وهي التي أبادت الحبشة، أن يخرجوا إلى محل العرض في صبيحة يوم الثلاثاء المذكورة. وأكد رضي الله عنه في ذلك. فأصبح الناس غادين إلى محل العرض المذكور.

وخرج خليفة المهدي عليه السلام بنفسه للعرض المذكور. ولم يتخلف عن ذلك أحد إلا أصحاب الاعذار الشرعية كالمرضى وغيرهم.

وحصل عرض عظيم، عليه من الرونق والهيبة وكمال الاستعداد وعلو

---

(١) قلنا: انظر نص الحضرة في الملحق.

الهمم ما يشعر بحدوث أمر عظيم. فكانت تلك الساعة، أعني ساعة العرض، موافقة للوقت الذي أهلك الله فيه الحبشة بنهر أتبرة. وكأن ذلك العرض ما عمل إلا ليكون مددا للأنصار بتلك الوقعة.

ويدل لما أبديناه في هذا الشأن، أنه لم يعهد في المهدية من حياة المهدي عليه السلام إلى وقتنا هذا حصول العرض في يوم الثلاثاء لغير حرب وقتي. إنما المعتاد للعرض في المهدية هو يوم الجمعة لا غير. فاعتبر ذلك واسلك من التسليم أوضح المسالك.

ومما وقع في وقعة أتبرة من الكرامات أيضاً، أن امرأة من نساء الأنصار أخبرت أنها كانت أسرت مع بعض من نساء الأنصار اختطفهن بعض الحبشة ساعة الحرب. فأراد ذلك الكافر الذي هي في أسره أن يمد يده إليها لينال منها حاجته. فقالت تلك المرأة: يا المهدي ويا خليفة المهدي خلصوني من هذا الكافر.

ففي الحال سمعوا هدة وحركة شديدة من ناحية السما كأنها صاعقة لها دوي وصوت مزعج، فانزعج الكافر المذكور وارتاع وقام هارباً وترك المرأة المذكورة وحصلت بذلك زعزعة واضطراب شديد في جيش الحبشة. وبأسباب ذلك تخلصت المرأة المذكورة وتخلص من كان معها من النساء. وكان ذلك سبباً للفرج عنهن.

هذا وقد شوهد في هذه الوقعة أيضاً حرق النار لأجسام الكفار. وقد بسطنا الكلام على ذلك في «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي.»[1].

أقول: ولو تتبعنا ما حصل في هذه الوقعة من الخوارق الغريبة والاحوال العجيبة لضاقت عن ذلك الطروس وكلت عن احصائه النفوس. فلنمسك عنان القلم عن السير في هذا الميدان العظيم الشأن.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يديم نصر الإسلام ويمدنا بمدد خليفة المهدي عليه السلام. إنه ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق.

(١) قلنا: يشير هنا إلى ما يرويه الأنصار من أن النار تأكل أجسام القتلى من أعدائهم.

الخاتمة

الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة، تشتمل على ذكر باقي السرايا التي أرسلها خليفة المهدي عليه السلام إلى الأقطار للدعاية إلى الله، والانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام وما يتعلق بذلك.

قد كان خليفة المهدي عليه السلام من حياة المهدي عليه السلام ناصباً نفسه لحياطة الدين، وشد أزر المهدية بثاقب عزماته المقرونة بالنصر المبين. وذلك أمر عرف به من بين الأنام، ومزية خصه الله بها على توالي الأيام.

ولقد كان راحة بال المهدي عليه السلام من حين ضربت سرداقات المهدية على الأمة، وظهيره على تقويم الدين وكشف معضلات الأمور المدلهمة إلى أن آل إليه أمر الأمة المحمدية وولاه الله تعالى من فضله، وله الفضل والمنة على سائر البرية، فقام بالأمر أتم قيام، وأحيا سنة من أحيا الظلام.

ولقد كان رضي الله عنه لم ينفك عن اتعاب بدنه في طاعة الله عن وجل آناء الليل وأطراف النهار، مع بذل الهمة المؤيدة بالتوفيق الإلهي في تأييد الدين، وقمع جيوش الملحدين بترديد السرايا والبعوث إلى أقاصي البلاد وشاسع الأقطار توسيعاً لدائرة نطاق المهدية ونشراً لبساطها العبقري لسائر البرية.

ولقد كان أهل دار فور بعد انتظامهم في سلك المهدية بسرية محمد بن خالد التي ذكرناها في «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي»، أغواهم الشيطان فنكصوا على أعقابهم عن متابعة المهدي عليه السلام، وأعادوا الحرب جذعة.

فلذلك كتب خليفة المهدي عليه السلام لعامله على كردفان عثمان آدم وأمره بالمسير إلى دار فور ليدعو أهل المغرب[1] لمتابعة المهدي عليه السلام والاقلاع عما هم عليه من الفساد في الأرض، ويحذرهم عاقبة الخلاف. وإن استمروا على الشقاق وعدم الامتثال والوفاق يناجزهم الحرب.

فخرج عثمان ومن معه من الجيوش من كردفان مجدا السير ماراً إلى دار فور بطريق شكا. ولما وصل إلى شكا تلقاه جميع من بها من الأنصار بالتسليم مبادرين لطاعته سامعين لكلمته. فأمرهم بالانضمام إلى الجيش. وقصد دار فور.

ولما حل عثمان آدم بأوائل تلك البلاد كتب الإنذارات البليغة والمواعظ الحسنة إلى يوسف ابراهيم الذي كان على دار فور بعد خروج محمد بن خالد منها يدعوه فيها إلى الدخول في المهدية والطاعة والاقلاع عن المخالفة والشقاق. فلم يقبل ذلك لأن يوسف المذكور كان شاباً غراً لم تهذبه معالم الديانة وآداب المهدية مع قرب عهده بالترف والخلود إلى اللذات، واصغائه إلى أقوال السفهاء ولاسيما موالي أبيه ابراهيم مثل زايد ورحمة المفسدين في الأرض اللذين صار هلاكهما في هذه الواقعات. فحسنوا له الخروج عن ربقة المهدية، واشربوا في قلبه حب العصيان والمخالفة لكونهم متعودين بعوائد ملوك فور في النهب والفساد في الأرض.

فتبعهم أولاً ووافقهم ثانياً على عدم قبول ما أنذره به عثمان آدم. وصمم على المحاربة، وأرسل جيشاً من عنده لمحاربة عثمان آدم قاصداً دفعه قبل أن يتمكن من الدخول في دار فور. ويأبى الله ذلك!

فإن عثمان آدم لما علم تمادي يوسف على الاعراض وعدم إجابته داعي الله، ولم تنفع فيه المواعظ ولاسيما وقد كان سيدنا خليفة المهدي عليه السلام كتب إلى يوسف المذكور يدعوه إلى الرجوع إلى متابعة المهدي عليه السلام،

(١) قلنا: المقصود بالمغرب هو ما يعرف أيضاً بالغروب أي دار فور وما والاه إلى الغرب.

ويعده بالجميل والعفو والإحسان إليه كما هي عادته رضي الله عنه من الشفقة والرأفة بعباد الله تعالى فلم تؤثر فيه. عزم عثمان على محاربته واستئصاله، فالتقى الجيشان ووقع بينهما حرب شديد. فهزمهم عثمان أقبح هزيمة وقتلهم شر قتلة. فلم يرجع منهم إلى يوسف بالفاشر إلا الشريد.

وهكذا الحال كلما أرسل يوسف جيشاً لمحاربة عثمان يهزمهم عثمان آدم ويقتلهم شر قتلة.

وعثمان سائر جهة يوسف وقاصد له بالفاشر حتى نازله بقرب الفاشر بمحل يسمى ولد بيره. فخرج يوسف بن ابراهيم في جيوش من فور وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله لمحاربة عثمان آدم. ووقع المصاف بينهم بالمحل المذكور - أعني ولد بيره. وانتشب القتال بينهم، فصدقهم عثمان آدم القتال. فلم يلبث يوسف وجيشه في الميدان إلا قليلاً وانهزموا أقبح هزيمة.

وتبعهم الأنصار قتلاً. وقتل يوسف بن ابراهيم شر قتلة. وتبعهم خيل الأنصار يقتلونهم إلى أن ادخلوهم في الفاشر وتتبعوهم قتلاً.

ودخل عثمان آدم الفاشر ونادى في الناس بالأمان. وتم أمر الفاشر وما حوله على الدخول في المهدية.

ثم إن الهارب من باقي أولاد السلاطين بدار فور وباقي رؤساء باقي دولة فور الذين كانوا اثاروا هذه الفتنة، وحسنوا ليوسف الخروج عن الطاعة حتى تم عليه ما تم من الهلاك والمحنة. ومن انضم إليهم من المفسدين، قد تجمعوا وتحزبوا وتعاضدوا على الخروج عن طاعة عثمان آدم والانحلال من ربقة المهدية وانحازوا إلى أقاصي دار فور مما يلي الجهة الغربية منها. وبثوا الدعاة في اكناف دار فور ليستنفروا أهل الشقاء الذين آل أمرهم إلى أن صاروا كالبدن المعقولة للنحر. كما سيأتي في بيان ذلك في الملحمة الكبرى التي أفنتهم فناء لا مزيد عليه.

وبينما هم على ذلك إذ أتى إليهم رجل من جهة الغرب يدعى جميزة.

ذكر جميزة:

جميزة، وما أدراك ما جميزة! دجال من دجاجلة الدين وداع من دعاة الضلال الفتانين. ظهر بغرب دار فور. ودعا أهلها إلى البهتان والزور، ودلاهم في مهاوي المهالك والغي بغرور، حتى أسلمهم إلى الهلاك والثبور.

فتنهم بخزعبلاته وأضل عقولهم بتمويهاته. فتجمعوا عليه، وانحازوا بجملتهم إليه. حتى أجفلت دعوته الكاذبة إلى عموم الجهات الغربية بعد اعصار.

هذا وقد رأينا أن نذكر المنشور الذي أرسله سيدنا خليفة المهدي عليه السلام إنذاراً لجميزة الهالك ولفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق إلى الشخص المدعي خلافة عثمان بالغرب.

أما بعد، فنعلمك أن جوابك المحرر لنا في تاريخ ١٣ ربيع أول ١٣٠٦[1] وصل بطرفنا وما سطرته به من أنك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي عليه السلام وأنك خليفة عثمان، وقد بايعتنا على السمع والطاعة في الأمر والنهي إلى آخره، فهم لدينا.

ونقول لك: أما من خصوص قولك أنك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي عليه السلام مع ما أنت عليه من المجاهرة بالعداوة لحزب المؤمنين والاعراض عن إجابة داعي رب العالمين فهو زور وافتراء وكذب على الله واجتراء. فإنك قد خالفت أمر الله ورسوله ورفضت العمل بالكتاب والسنة واتباع سكة المهدي عليه السلام بمحاربتك لأنصار دين الإسلام

(١) قلنا: يوافق ذلك ١٧ نوفمبر ١٨٨٨.

وأصحاب مهدي الله الكرام الذين شاهدوه وبايعوه وبذلوا أرواحهم في نصرته وشيدوه. فكيف مع ذلك الفعل الشنيع الذي هو من أعظم الفساد والبغي والعناد تدعي أنك على اتباع السنة والكتاب واقتفاء أثر المهدي عليه السلام وسلوك منهج الصواب.

وأما قولك أنك خليفة عثمان فهذا أيضاً مع تلبسك بما أنت عليه من محاربة الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا وإثارة الفتن التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، محض زور وافتراء على الله وفجور. فإن من كان متصفاً بخلافة عثمان رضي الله عنه على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتفياً لأثره وسالكاً لمنهجه. وهل بلغك أن عثمان رضي الله عنه جرد سيفه على مسلم أو سعى في الأرض فساداً أو حارب أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان أبي بكر الصديق أو في زمان عمر الفاروق أو في زمانه هو. وحيث انه رضي الله عنه لم يكن على ذلك بل كان مهتدياً ونجماً مضيئاً فما الذي جرأك على الله بادعاء خلافتك عنه افتراء وكذباً وأنت على ما أنت عليه من السعي بالفساد واطفاء (نور دين) رب العباد. فما اسوأ حالك يا هذا إن لم يتداركك الله بتوبة صادقة تمحو سالف ذنبك وعظيم جرمك.

وأما قولك إنك قد بايعتنا على السمع والطاعة في الأمر والنهي فإن كنت صادقاً فيما ذكرت فقد صرت ببيعتك هذه تحت أمرنا ونهينا وفي حيز إشارتنا فليلزمك الوفاء بذلك عقداً وعملاً قولاً وفعلاً بنص قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ولا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ «الآية (١)». ولابد أن تسأل عن تلك البيعة بين يدي الله كما أخبر سبحانه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً﴾(٢). وها نحن قد أمرناك أمراً جازماً وعزيمة مؤكدة بالاقلاع عما أنت فيه وأن تتوب إلى الله توبة نصوحاً مما ارتكبته من عظيم الفساد ومحاربة رب العباد.

---

(١) قلنا: سورة النحل الآية ٩١.

(٢) قلنا: سورة الأحزاب الآية ١٥.

فاعمل بأمرنا هذا ولا تحرك شيئاً أو تسكنه من الآن فصاعداً إلا بإذن منا حيث علمت وجوب طاعتنا عليك من كتاب الله تعالى ولا تقدم على محاربة أحد أيا كان ولا سيما أصحاب المهدي عليه السلام المعينين بأمرنا لاصلاح العباد وإزالة الفساد ودعاية الخلق إلى الدخول في طاعة المهدية تحت رئاسة عاملنا المكرم عثمان آدم في الجهات الغربية.

إن كنت على طاعتنا كما ذكرت وإن لم يكن لما ذكرته من مبايعتك لنا والتزام طاعتنا صحة ولا عزم من قلبك فاعلم أنك رجل قد غرك الشيطان حتى سلك به سبيل الهوان. فتدارك نفسك قبل الفوات وتلاف سلامتك قبل الممات ولا يسول لك شيطانك أنك تقوم بمحاربة المهدية ويزين لك ذلك حتى يوقعك في ورطة الهلاك وتتبرأ منك وتبوء بسخط رب البرية، والعياذ بالله. فإن أمر المهدية هذا من الله ورسوله وما تصدى أحد لمحاربته إلا خذله الله وقطع دابره وشتت شمله ودمر أمره فاعتبر بما حصل بمن قبلك من المعرضين كيف اهلكهم الله ودمرهم أجمعين. ولا تغتر بما حصل لك من الاستدراج والامهال. فإن ذلك من عادة الله مع امثالك في مبدأ أمرهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما قال صلى الله عليه وسلم: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِين * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجْرِمِينَ﴾[1] الآية.

واعلم أنك راحل عن الدنيا وذاهب بعملك إلى الأخرى ومسئول غداً بين يدي الله تعالى عن نفسك وعن من معك من الجموع ومناقش في الحساب على ذلك. فتذكر وقوفك بين يدي الله ولا تهلك نفسك ومن معك وتغتر بالتسولات الشيطانية والعوارض النفسية فتندم حيث لا ينفعك الندم فتزل منك القدم. فإني داعيك إلى ربك ومرشدك إلى سلامة نفسك. فإن كنت لله طائعاً ولاشارتنا مستمعاً ففرق ما معك من جموع الفساد واحضر لطرفنا منيباً لأمر رب العباد لننظر في أمرك ونرشدك إلى طريق فلاحك وفوزك. وإلا بأن كنت لم تزل على سعيك في الأرض بالفساد والبغي والعناد،

(١) قلنا: سورة المرسلات الآيات ١٦ - ١٨.

فالله أكبر عليك، الله أكبر عليك، الله أكبر عليك. ولا بد بمشيئة الله وعونه من وقوعك في القبضة اينما كنت وحيثما توجهت. وفي هذا كفاية لمن كان من أهل العناية. والسلام على من اتبع الهدى - ٢٠ ربيع آخر ١٣٠٦[1]. انتهى.

وقد كان المذكور قبل هلاكه وقعت بينه وبين الأنصار مناوشات. ثم بعد هلاكه قام بالحرب أخوه المدعو ساغة.

ذكر وقعة أهل الغرب وما جرى لهم من الهلاك والدمار على يد عامل خليفة المهدي عليه السلام وقريبه عثمان آدم ومن معه من الأنصار.

قد ذكرنا أن رأس فتنة الغرب المدعو جميزة لما أهلكه الله قام مقامه أخوه ساغة، فأضل أهل الغرب كاضلال جميزة أو أشنع، فتبعوه وأراد أن يملك بهم البلاد، ويسعى في الأرض بالفساد. فجمع لذلك وحشد واستنفر أهل الغرب فأجابوه حتى أهالي مملكة برنو وبرقو وتامة ومساليت وأسنقور وزغاوة وفور وغير ذلك من القبائل الذين يطول تتبع ذكرهم، وغيرهم من الأوباش والغوغاء.

وقصد عثمان الفاشر في جمع ملأ الأبصار، وجيش شحن الجوانب والاقطار، حتى كأن الأرض من تماوجها بهم تسير، والجبال تمور. وثار من وقع الحوافر ورهج الجيش غبار أوهم كسوف شمس النهار، وعود ظلام الليل الحاجب للابصار، إلى أن نزل بمحل يدعى مجدوبا بينه وبين الفاشر أربع ساعات فلكية.

فبرز عثمان آدم إلى لقائه في ليوث من الأنصار يصدق في الله تعالى ضرابها، وأبطال تتزاحم على مورد الشهادة أسرابها، متوكلين على الله وحده منتجزين في النصر وعده.

وقد كان الأنصار وأهل الجراءة والاقدام طلبوا من عاملهم عثمان آدم أن يأذن لهم في الوصول إلى أعداء الدين في محل نزولهم مجدوب المذكور

(١) قلنا: يوافق ذلك ٢٤ ديسمبر ١٨٨٨.

ليحاربوهم هناك. فلم يأذن لهم عثمان آدم في ذلك علماً منه بأن انتظارهم بظاهر البلد والقرب منهم أمكن للحرب لاتساع الميدان هناك وانكشاف المكان وعدم وجود ساتر به بحيث يلوذ الاعداء به ويستترون به ساعة الحرب ليتمكن الأنصار من حصدهم. وقد كان الأمر كذلك فلله در عثمان آدم ما أعرفه بمكائد الحرب وانتهاز الفرص مع ما عليه من الاقدام وكمال الشجاعة والثبات في مواطن اللقاء. وأخرى هو بها أغبط عند ذوي البصائر، وهي وقوفه عند الإشارة التي هي عنوان على السعادة والعمل بها دون الاستبداد بالرأي، والاستحسان الفكري.

ولقد خص بمزية لو اطلع عليها العمال لتنافسوا عليها ليحوزوا بذلك سعادة الدارين. وهي أن عثمان آدم المذكور قد وفقه الله تعالى على مطالعة سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وانهاء جميع أموره إليه شهراً بعد شهر من أحوال الجيوش واعدادها ومقاديرها ومقادير الأسلحة وما استجد منها ومقادير الخيول وما استجد منها، وما حصل فيها وغير ذلك من أحوال الحروب حتى انه ينهي لولي أمر الجميع سيدنا خليفة المهدي عليه السلام جميع احواله الضرورية السرية. وما أحدثه منها وما حصل له. فلا غرو ان بلغ عثمان هذا الفضل الجسيم. والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول:

فأقام عثمان مع الأنصار بظاهر البلد ينتظرون اعداء الدين. وبعد مضي يومين من خروج عثمان من البلد واقامته بالخارج عنه، حضر الاعداء في الساعة السادسة من يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر الله جمادي الآخرة من سنة ست بعد الثلثمائة والألف[1] ومعهم حتى النساء والأطفال وآلاتهم التي يحركونها بالضرب حالة الحرب كالنحاس وغيره متتابعة الحركات زاحفين إلى البلد غافلين عما قضاه الله تعالى في أزله باهلاكهم في تلك المصارع، غروراً منهم بتمويهات قائد فتنتهم خلف جميزة المدعو ساغة حتى يعدهم ويمنيهم النصر ـ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

(١) قلنا: يوافق ذلك ٢٣ فبراير ١٨٨٩.

فعند ذلك رتب عثمان الجيش ارباعاً. كل ربع على حدة. لكن مع تقارب الارباع بعضها إلى بعض. وجعل الخيل في أجنحة الارباع. ورتب الجيش ترتيباً حسناً.

وقد ذاكر الأنصار حينئذ بمذاكرة بليغة ووعظهم بمواعظ حسنة حتى اشتاقت النفوس إلى لقاء الملك القدوس. ثم تزاحف الجيشان. وعند اشتداد القرب أمر عثمان آدم الأنصار بالحملة على الاعداء. فحملوا عليهم حملة رجل واحد بعدما امطروا عليهم من الرصاص ما يكاد يستر الشمس.

واختلط الجيشان، والتحم الفريقان. واشتد الخطب وأديرت بينهم كؤوس الطعن والضرب، واشتد الزحام، واختلطت الأجسام إلى أن عدلوا على السكاكين فاقتتلوا بها قتالاً شديداً. فلم يمكث أعداء الله في الملحمة إلا قدر ساعة.

ثم انهزموا أقبح هزيمة، واسلموا نساءهم وأبناءهم للأسر وولوا الأدبار. لا يلوي أخ على أخيه. وتبعهم الأنصار فرساناً ورجالة، يقتلونهم في كل جهة بقية ذلك النهار قتلاً ذريعاً، حتى أن أهل رايات محمد بشارة، والختيم موسى، وعبد القادر دليل، والعطا أصول الذين يرون السعادة حتماً لمن مات تحت المشرفيات، والتثريب حقاً على من حاد عن الرماح الخطيات، باتوا في أثر المنهزمين يقتلونهم فافنوهم قتلاً ولم يسلم منهم إلا الشريد، الذاهب في بطون الأودية ولم يظفروا به.

هذا والخيل المغيرات إذ ذاك ينظمونهم بالرماح نظم اللآلي في السلوك إلى أن جنحت الشمس ثاني يوم إلى الدلوك فما رجعوا من طلبهم واقتفاء أثرهم إلا في آخر ثاني يوم الوقعة. فجزاهم الله خيراً عن بذل مهجهم في نصرة الدين.

ولما أرهق الاعداء الفارين الطلب، وخافوا من الدمار بأيدي الأنصار والعطب، صاروا يلوذون من القتل بالاستتار بالأجحار ورضوا لحب السلامة من القتل أن يلتحفوا بعالم العار فتراهم وهم في حالة الفرار إذا لاح لهم جحر

ولو جحر ضب خرب جنحوا للاستتار به. وهيهات فإن الأنصار في اثرهم، يخرجونهم من الاجحار ويقتلونهم فرداً بعد فرد. وصار بعضهم يختفي في مكامن الشجر. فمن ظفروا به منهم قتلوه، ومن لم يظفروا به منهم سلم، وقليل ما هم. حتى أن بعضهم لما لم يجد سبيلاً إلى الخلاص، وخشي أن يقع في حبالة الاقتناص تحول قرداً وبعضهم ذئباً وبعضهم تحول في صورة الارانب والغزلان وغير ذلك من أطوار الحيوانات ليتخلص بذلك من القتل وهيهات فإن منهم من قتل وهو على تلك الحالة.

وقد شوهد ذلك منهم كما حدث به بعض الثقات. ولا غرو في وقوع مثل ذلك من أهالي تلك الجهات، يعني جهات الغرب، لأنه شاع في بعضهم حصول مثل ذلك، أعني التحول من الصورة الأصلية الإنسانية إلى غيرها. وهو من أنواع السحر. فلا يستبعد حصوله.

وبعد انجلاء غمام المعركة، وجد الهالك من الاعداء أمم لا يحصيها إلا الله مع ما انضم إليهم من النساء والصبيان، حتى البهائم، لأن المعركة حصلت في فضاء من الأرض لا ساتر فيه من شجر أو حجر يمنع من اصابة الرصاص. وهم جيوش كالسحاب المركوم. فلذلك أخذت منهم الأسلحة النارية مأخذاً عظيماً، وتداركت عليهم محلات الأنصار بالسيوف والرماح بل والسكاكين كما تقدم عقب امطار سحائب رصاص عليهم حتى شرقت السيوف والرماح بدمائهم.

وتحكمت النسور في أشلائهم فأصبحوا كهشيم نخل منقعر.

وقد قتل عدو الله ساغة وجميع الرؤساء الثائرين معه في هذه الفتنة من قبائل فور وبرقو وبرنو وتامة من أبناء السلاطين وغيرهم، وممن لا يمكن حصره غيرهم.

وأما من أكرمه الله بالشهادة من الأنصار فهم عدد قليل.

وقد أحرز الأنصار من سلم من القتل من نساء الأعداء وأبنائهم، وحازوا أسلحتهم وآلاتهم وجميع ما معهم.

ثم ان عثمان آدم بعث بعضاً من رؤوس رؤساء فتنة الغرب الهالكين مثل رأس قائد الفتنة ساغة وغيره وبعضاً من راياتهم لخليفة المهدي عليه السلام اعلاناً بنصرة الدين، وحسما لمادة المفسدين. هذا وقد شوهد في هذه الوقعة خوارق دالة على حصول النصر. وقد حقق الله ذلك.

منها ما ذكره بعض الثقات أنه رأى حالة الحرب رايات بيضاً اطرافها خضر في الهواء. ومنها ما حكاه بعض الثقات من أنه سمع حالة الحرب صوت أم بايا سماعاً محققاً لا شك فيه. ومنها ما قاله بعض الإخوان الصادقين إنه رأى سوراً عظيماً كهيئة الجبال نازلاً من السماء على الاعداء ساعة الحرب.

وقد شوهد أيضاً حرق النار لاجسام الهالكين من الاعداء في هذه الوقعة.

وقد أوضحنا ذلك في «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي».

هذا وقد تم أمر الغرب، أعني دار فور وما والاها على الطاعة والانتظام في سلك المهدية، وصفت دار فور وما والاها ممن ينعق في فساد أو يثور بشقاق وعناد. والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هذا وقد آن لنا أن نتكلم على باقي السرايا مجملة فنقول:

إن خليفة المهدي عليه السلام. قد أرسل سرية إلى بحر الرجاف(١) بجهات خط الاستواء، وعلى تلك السرية عمر بن صالح وذلك سنة ست بعد الثلثمائة والألف. فساروا غزاة على البحر الأبيض في الوابور إلى أن وصلوا بمحل يدعى اللادو ففتحوه واستولوا عليه وعلى جميع ما فيه من الأسلحة والجباخين وغير ذلك من المهمات والاثقال والامتعة.

وقد دخل جميع سكان تلك الجهات في المهدية وقابلوا العامل المذكور بالطاعة والانقياد. وانتظموا في سلك أصحاب المهدي عليه السلام، إلا ما

(١) قلنا: يعرف نهر النيل في هذا الطرف ببحر ابيض. أما الرجاف فاسم جبل، وبه سميت المدينة التي التقى فيها عمر صالح بالجهادية المتمردين على أمين باشا مدير خط الاستواء وقتل مديرهم حامد أغا بينما فر الباقون.

كان من أمين بيك مدير تلك الجهات سابقاً. فإنه قد هرب إلى أقاصي تلك البلاد وسيقع إن شاء الله تعالى في القبضة.

والحمدلله على اتساع دائرة المهدية وعمومها لتلك الجهات الجنوبية بدقنة بالجيوش، وأمره بالتشديد في الحصار على جزيرة سواكن.

فالآن عثمان المذكور بتلك الجهة وهو مشدد عليهم الحصر. ولم يزل يخرج الناس إليه من جزيرة سواكن وينتظمون في سلك المهدية.

وأما القطر المصري فإن أفكار سيدنا خليفة المهدي عليه السلام المنورة بأنوار التوفيق الإلٰهي قد توجهت إليه.

ولقد كان أرسل عبد الرحمن النجومي في سرية ونازل أوائلها وادي حلفة[1]. وشنوا الغارة على أهل استحكام وادى حلفة.

وهكذا يتعاقبون عليهم بالغارات حتى أوهنوهم.

ثم اردفه بمساعد قيدوم. ثم حصلت الإشارة المقرونة بالنصر المبين، والفتح للبلاد والتمكين بتعيين المكرم يونس الدكيم إلى مصر ليدعو ولاتها إلى الانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام.

وإن استمروا على الشقاق وعدم الامتثال، وأصروا على الخلاف وعدم الوفاق يناجزهم الحرب.

فخرج يونس الدكيم من بقعة المهدي عليه السلام. وقد شيعه خليفة المهدي عليه السلام وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً.

وبالغ رضي الله عنه في موعظة الجميع.

ثم سافر يونس الدكيم مجدّا السير إلى أن وصل الاوردي[2] بدنقلة. فشرع في بعث الجيوش إلى جهة مصر ارسالاً يتلو بعضها لبعض حتى تراكمت جيوش الأنصار بجهات حلفة. حتى أن بعضاً من الجيش شن الغارة على الجهات التي هي بحري حلفة فقتلوا وغنموا.

---

(١) قلنا: عادة تكتب: «حلفا».

(٢) قلنا: عادة تكتب «العرضي» وهو تعريب لكلمة أوردى التركية. ومعناها الجديدة.

وبالجملة فلوائح النصر وحصول الظفر والفتح بـادية كفلق الصبـح. وعن قريب تحيط جيوش المهدية بمصر احاطة القلائد بالجيد، ويذلون عزيزها بعزة ذي العرش المجيد. فتتوالى البشائر بالفتح تترى، فنحمد الله على ذلك سراً وجهرا.

هذا وقد انتهى جمع هذه الرسالة التي لست أهلاً لجمعهـا وتحريـرها ووضعها، لولا التوفيق والهداية لأقوم طريق، في سادس شوال من السادسة بعد الثلثمائة والألف[1].

اللهم[2] اجمع شتات قلوبنا بحسن عنايتك. وأحيِ ميت أسرارنا بغيث ولايتك يا أرحم الراحمين. والحمد لله رب العالمين.

تمت على يد كاتبها ومالكها محمد أحمد هاشم في يوم عاشوراء ضحوة سنة ألف وثلثمائة وثمانية من هجرته صلى الله عليه وسلم[3].

---

(١) قلنا: يوافق ذلك ٦ يونيو ١٨٨٩.
(٢) قلنا: هذه الفقرة وما يليها إضافة من الناسخ وليست من أصل الكتاب.
(٣) قلنا: يوافق ذلك ٢٦ اغسطس ١٨٨٩.

ملاحق



مسطورات

MUSTORAT

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

وبعد فيقول عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق:

إنه قد حصلت لي حضرة نبوية مبشرة: حضر لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومعه المهدي والخضر عليهما السلام فجلس سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عن يميني واستقبلني بوجهه الشريف وجلس المهدي عليه السلام عن يساري مطرقاً أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس الخضر عليه السلام من خلفي فاخبرني صلى الله عليه وسلم في تلك الحضرة أن اعداء الله الحبشة إذا حضروا للحرابة تكون أيديهم مغلولة إلى اعناقهم وأننا منصورون عليهم. وكذلك اخبرني صلى الله عليه وسلم عن الترك أن الرعب من جهة المهدية قد تمكن من قلوبهم وأن الاذن في توجيه الأنصار إلى جهات الريف حاصل لي ثم كبر صلى الله عليه وسلم على الحبشة مرتين فكبرنا معه وكذلك كبر على الترك فكبرنا معه وكبر على توفيق وعلى الانقليز فكبرنا معه. ثم اخبرني صلى الله عليه وسلم أن كافة الاجراءات التي صدرت مني كقتل صالح الكباشي وولد ابوروف ودارفور وما فعلته مع الشكرية والبطاحين وما اجريته بالبقعة وغيرها فهو صواب. واخبرني أيضاً أن الله تعالى قد كان ملكني زمام الكون جميعه والآن قد جعله لي في قبضتي ثم قال لي صلى الله عليه وسلم مادام أن الله قد جعل أمر الكون وأهله في قبضتك فمن ذا الذي تختاره لهم؟ فقلت له: اختار لهم ما اختاره لنفسي. فشكرني على ذلك صلى

الله عليه وسلم شكراً كثيراً ودعا لي بخير كثيراً وقال لي جزاك الله خيراً مراراً. ثم اخبرني صلى الله عليه وسلم مدة اقامتي في الدنيا ومفارقتي لها وما سيصير في الكون بعدي وبالوقت الذي ينزل فيه نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام وبانتهاء مدته وما سيصير بعده من التصرفات وبمدة بقاء الإسلام في الأرض وأنه لا يبقى بعد انتهايها على وجه الأرض مسلم. ثم أمرني صلى الله عليه وسلم أن اقري سلامه لجماعة من الأصحاب سماهم لي وكذلك اخبرني صلى الله عليه وسلم في حضرة ثانية أن الله تعالى قد ادخلني في وعد هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(١) واخبرني صلى الله عليه وسلم بأني أفضل من كل من (كان) على وجه الأرض الآن بعد المهدي عليه السلام وأن كل احد في هذا الزمان على وجه الأرض يسعد برضائي ويشقى بعدمه وثم بشاير أخرى يطول شرحها والعلم لله. انتهى والسلام.

في شعبان سنة ١٣٠٥(٢).

---

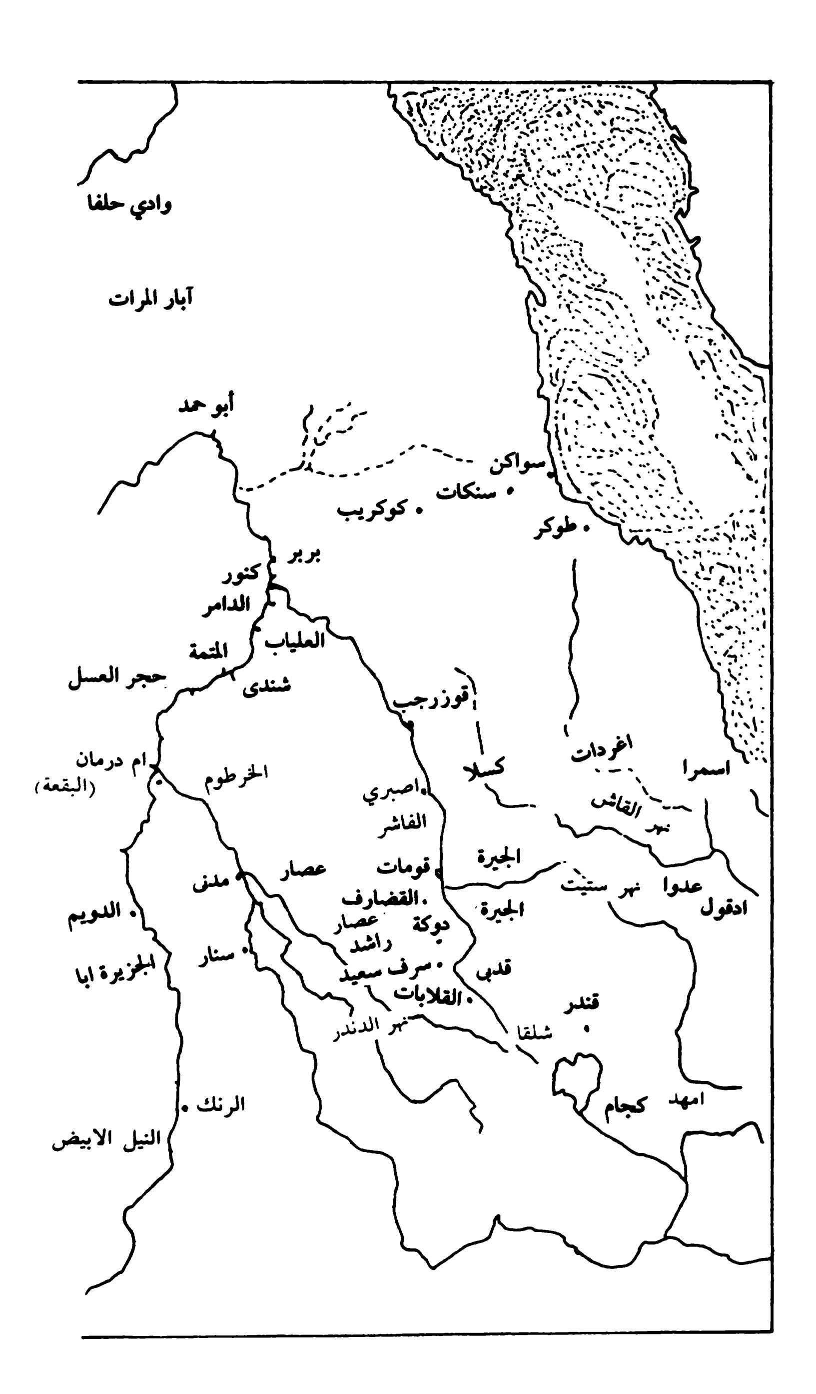
(١) سورة الحج آية ٤١.

(٢) قلنا: يوافق ذلك ١٣ أبريل - ١١ مايو سنة ١٨٨٨.

حصن القلابات

الجملة ٢٤٠ متر عمن كل متر بندقيتين فيكون الركن الواحد اربعمائة وثمانون بندقية في خط واحد واما بالثلاثة خطوط ألف وأربعمائة وأربعون بندقية وهكذا في باقي الأركان الأربعة فتكون جملتهم خمسة آلاف وسبعماية وستون بندقية.

وهذا الصدر المربع الداخلاني يكون ما بين خط النار وما بين العائلة بحيث أن العائلة تكون من داخل الصدر الداخلاني وبه محل أمير الركن ومحل الجبخانة ومحل الشونة وباقيه يكون فضا العائلة وقت الحاجة.


وادي حلفا
آبار المرات
أبو حمد
سواكن
سنكات
كوكريب
طوكر
بربر
كنور
الدامر
العلياب
المتمة
حجر العسل
شندى
قوزرجب
ام درمان
(البقعة)
الخرطوم
اصبري
كسلا
اغردات
اسمرا
نهر القاش
الفاشر
الجيرة
قومات
عصار
مدنى
القضارف
نهر ستيت
عدوا
ادقول
اللويم
الجيرة
دوكة
عصار
راشد
سنار
الجزيرة ابا
سرف سعيد
قدبي
القلابات
قندر
نهر الدندر
شلقا
الرنك
كجام
امهد
النيل الابيض

ثبت المراجع

وثائق المهدية

(١) القسم الأول:

١/٤ رسائل الزاكي طمل إلى الخليفة.
١/٦ رسائل حامد علي إلى الخليقة.
١/٢٠ الرسائل المتبادلة بين الخليفة وأحمد فضيل.
١/٢١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة وأحمد فضيل.
١/٢٢ رسائل يونس الدكيم إلى الخليفة.
١/٢٥ رسائل الخليفة إلى حمدان أبي عنجة.
١/٢٦ رسائل الخليفة إلى حمدان أبي عنجة.
١/٢٨ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف والزاكي طمل وأحمد علي من طرف آخر.
١/٣٨ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحمدان أبو عنجة وأحمد علي من طرف آخر.
١/٢٩ رسائل حمدان أبو عنجة إلى الخليفة.
١/٣٤ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحاكم الحبش والإيطاليين من طرف آخر.

(٢) القسم الثاني: وقد أشرنا إلى مواضع المصادر في هامش المخطوط.

(٣) القسم الثالث:

مطبوعات الدعاية.

منشورات المهدى المطبوعة للتوزيع على الجهات.
منشورات الخليفة المطبوعة للتوزيع على الجهات.
منشورات المهدي جـ١ (طبعة حجرية) بام درمان ١٣٠٤/١٨٨٧ م.

مراجع عربية

١ ـ اسماعيل عبد القادر، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي «مخطوط محفوظ بمكتبة الدراسات الشرقية بجامعة درم».
٢ ـ الحسن سعد العبادي، الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية «طبعة الحجر بام درمان ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٧ م».
٣ ـ سلاطين، رودلف، السيف والنار في السودان «طبعة مكتبة الحرية بام درمان سنة ١٩٦٧».
٤ ـ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم، المرشد إلى وثائق المهدي «الخرطوم سنة ١٩٦٩».
٥ ـ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم، منشورات المهدية «بيروت سنة ١٩٧٠».
٦ ـ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية «الخرطوم ١٩٧٠».
٧ ـ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم «بيروت سنة ١٩٧١».
٨ ـ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم، مجموعة النجومي (مجلد «٢») رسالة جامعية للدكتوراة بجامعة الخرطوم سنة ١٩٦٧).
٩ ـ محمد سعيد القدال، منطقة القضارف ـ القلابات في عهد المهدية، رسالة جامعية للماجستير بجامعة الخرطوم ١٩٧٠.
١٠ ـ محمد سعيد القدال، الطراز المنقوش، مجلة الدراسات السودانية العدد «٢» مجلد «١» ص ١٤٠ ـ ١٤٥.

١١ - محمد عبد الرحيم، أبطال التاريخ في السودان (مخطوطة تحت الاعداد للنشر بدار الوثائق).
١٢ - نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان (بيروت ١٩٦٧).
١٣ - هولت، ب - م، الأولياء والصالحون في المهدية والسودان «ترجمة هنري رياض والجنيد على عمر - بيروت سنة ١٩٦٩».
١٤ - يوسف ميخائيل، غردون والسودان (مخطوط بدار الوثائق).

مراجع أجنبية

Hill, Richard: Egypt in the Sudan (1920-1881). London 1959

Hill, Richard: A birographical dictionary of the Sudan (London 1967).

Holt, P.M.: The Mahdist State in the Sudan 1881-1889. London 1970.

Holt, P.M.: The Mahdi's Archives and related documents, Archives V, 28, 1962.

Holt. P.M.: The Sudanese Mahadia and the outside world. Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol, I, XXI (1956 -pp.'276-290).

Saad Rifaat: Report on insurrection and evacuation of Red Sea stations 1889.

Sanderson, G.N.: England, Europe and the Upper Nile. 1882-1889.

Slatin, Rudolph C.: Fire & Sword in the Sudan, translated by F.R. Wingate.

Shaked. Maim: The presentation of the Sudanese Mahdi in a unique Arabic manuscript biography, paper read to 28th International Congress of Orientalist Camberra. Australia. A manuscript biography of the Sudanese Mahdi - bulletin of the School of Oriental and African studies, XXXII,- Part 3, 1969, pp. 527-540.

(١) فهرس الاعلام

٢ - فهرس البلدان والمواقع

- أ -

- ب -

- ت -

- ج -

٣ - فهرس الشعوب والطوائف والقبائل

٤ - مراجع التحقيق